- الفصل الأول -
طبيعة وفلسفة التعليم الجامعي المفتوح

- مقدمة .
- مفهوم التعليم المفتوح وعلاقته بغيره من المفاهيم .
- الجذور التاريخية لفكر التعليم المفتوح .
- نشأة صيغة الجامعة المفتوحة .
- فلسفة وأهداف التعليم المفتوح.
- خصائص التعليم المفتوح .
- مزايا التعليم الجامعي المفتوح .
- الانتقادات الموجهة لنظام التعليم المفتوح .
- مبررات التوسع في التعليم الجامعي المفتوح عالمياً ومحلياً.

obeikandi.com

الفصل الأول

طبيعة وفلسفة التعليم الجامعي المفتوح

مقدمة :

يعتبر التعليم المفتوح أحد مظاهر التطور والتجديد التربوى الذى بدأت ملامحه تتبلور بداية من نهاية فترة الستينيات ، ولقد أخذ هذا النمط من التعليم الجامعي يفرض وجوده في الأوساط التربوية كأحد الحلول الفعالة و القادرة على توفير المزيد من الفرص التعليمية لقطاعات كبيرة من الأفراد لم تستطع - لسبب أو لآخر – من الانتفاع من هذه الفرص من خلال الجامعات التقليدية ، وهذا ما أوضحته دراسات منظمة اليونسكو حول التعليم المفتوح " فهو واحد من أكثر الميادين نمواً في الفترة الأخيرة ، نتيجة التطور المتسارع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات التى تطرح بدورها تحديات وانعكاسات في ميدان التربية ، وكذلك في مجال تصميم وتقديم أنظمة التعليم وذلك من خلال شبكة الإنترنت إضافة لتزايد الطلب الاجتماعى على التعليم الجامعي استجابة لمطالب خطط التنمية " . [١]

" لقد استطاع هذا النمط من التعليم أن يحقق نجاحات واسعة كصيغة تعليمية تحمل بين جنباتها الوعد والأمل ، ليس من خلال قدرته على توفير المزيد من الفرص التعليمية لمن فاتهم قطار التعليم الجامعي فحسب ، وإنما قدرة هذا النظام على إعادة صياغة فلسفة وأهداف التعليم الجامعي ، وبالتالى تجديد هياكله وبناه ومضامينه والاستراتيجيات المعتمدة فيه .... وقد سارعت الدول المتقدمة والنامية إلى تبنى التعليم الجامعي المفتوح ، ووجدت فيه العلاج للعديد من المشكلات والمعضلات التي تواجه التعليم الجامعي بصورته التقليدية " [٢] .

" فمن ناحية يساعد هذا النمط من التعليم الجامعي على تحقيق ديمقراطية التعليم حيث ينقل التعليم إلى كل مواطن حيثما أراد وأين ما شاء ، ومن ناحية أخرى ، فإنه يساهم فى جعل التعليم عملية مستمرة وممتدة طوال الحياة ؛ فلا يتخلف المواطن في حقل عمله عن التقدم والتطور الذى يحصل فيه، كما تتميز هذه الطريقة بقلة تكاليفها عن التعليم الجامعي التقليدى ، واعتمادها على أساليب تختلف عن تلك الأساليب التقليدية المتبعة في التعليم الجامعي التقليدى" [٣] ؛ " فهو شكل من أشكال التعليم ينطوى على مرونة المكان واختيار الطالب للنشاط وإثراء المواد التعليمية وترابط جوانب المنهج" [٤] .

---

(1) UNESCO , ***Open And Distance Learning : Trends, Policy and Strategy Considerations*** , Op. Cit., 7

(٢) Ibid , 8-10.

(3) عبد العزيز بن عبد الله السنبل ، " مبررات الأخذ بنظام التعلم عن بعد في الوطن العربى " ، ***مجلة التربية*** ، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، قطر، سبتمبر، ١٣٧ (٢٠٠١) : ٨٤.

(4) Torsten Husten , T. Neville Postleth Waite ***: The International Encyclopedia of Education***, Vol 7 , 2 th Edition ,(London : Pergamon , 1994) , 4212.

openkan.com

مفهوم التعليم المفتوح وعلاقاته بغيره من المفاهيم و المصطلحات

إن المستقرئ للأدب التربوى يجد بعض الغموض والخلط في التعامل مع مفهوم التعليم المفتوح وعلاقته بغيره من المفاهيم ، فمثلاً يتم الخلط بين التعليم الجامعي المفتوح والتعليم من بعد ، والتعامل معهما على أنهما مفهوم واحد ، أويتم الفصل بينهما ، والتعامل معهما على أنهما مختلفان ، وكذلك نجد مجموعة من المفاهيم الأخرى قد تم الزج بها والخلط بينها وبين التعليم المفتوح ومنها : (الدراسة بالمراسلة – الدراسة في المنزل – الدراسة المستقلة – الدراسة الخارجية – التدريس من بعد – التعلم من بعد.... إلخ). [١] وفى الجزء التالى سيتم عرض نشأة التعليم المفتوح وتطوره وأسسه وأهدافه ومزاياه وعيوبه ، ومحاولة توضيح بعلاقاته بغيره من المفاهيم و المصطلحات .

أولاً : ـ العلاقة بين التعليم الجامعي المفتوح والتعليم الجامعي التقليدى :

The Relation between Open Learning and Traditional Campus Education

إن التعليم الجامعي المفتوح هو تعليم ينهض على الطالب في تعليم نفسه ، ومتابعة دراسته الجامعية إما بهدف الحصول على شهادة جامعية أو بهدف الحصول على شهادة تدريب في مهارة ما ، وهو تعليم لا يتقيد بجدران ومقاعد دراسية وبنايات ثابتة أو قاعات دراسية تستوجب أن يكون فيها الطالب وجهاً لوجه مع المعلم كما في الجامعات التقليدية [٢] ، و يتحمل المتعلمون مسئولية تعلمهم ، ومن خلال المواد والوسائل التعليمية ومن ثم تكون عملية التعلم إيجابية ونشطة من خلال المتعلم وبالمعدل الذى يناسبه وفي الأوقات التي تناسبه . أما في التعليم الجامعي التقليدى يكون المعلم هو نقطة الاتصال الأساسية بالطلاب ، وهو العامل الغالب والحاسم في نجاحهم أو فشلهم ، ويجب حضور الطلاب الدروس داخل المؤسسة التعليمية ، وغير ذلك من القيود التي يعبر عنها الشكل (١) والتى يعانى منها التعليم الجامعي التقليدى. " ففلسفة التعليم المفتوح مبنية أساساً على مبدأ المرونة لزيادة نسبة الالتحاق والمساواة في التعليم . و أن يقوم مقدم الخدمة بإيجاد مجموعة من الطرق لإتاحة فرص الالتحاق بالتعليم ، وفي هذا السياق يسمح للمتعلمين بتحديد ما يرغبون تعلمه ، وكيف ومتى وأين يتم حدوث التعليم ". [٣]

---

[1] الهلالي الشربيني ، نظام التعليم الجامعي المفتوح وإمكانية تطبيقه في جامعة المنصورة ، (ورقة عمل تم عرضها في ***ندوة " دور كليات الهندسة في التعليم المفتوح " ، كلية الهندسة ، جامعة المنصورة*** ، نوفمبر ٢٠٠٠) ، ٢-٣ .

[2] أفنان نظير دروزة ، " واقع التعليم المفتوح كما يراه كل من الطالب والمشرف الأكاديمي ،والموظف الإداري في جامعة القدس المفتوحة" ***، مجلة اتحاد الجامعات العربية*** ، الأردن ، عمان ، يناير، ٣٨(٢٠٠١) : ١٢٠.

[3] Association for the Development of Education in Africa : ***Distance Education and Open Learning in ub-Saharan Africa : A literature Survey on Policy and Practice*** ,(Working Group on Distance Education and Open Learning , 2002) , 20-22.

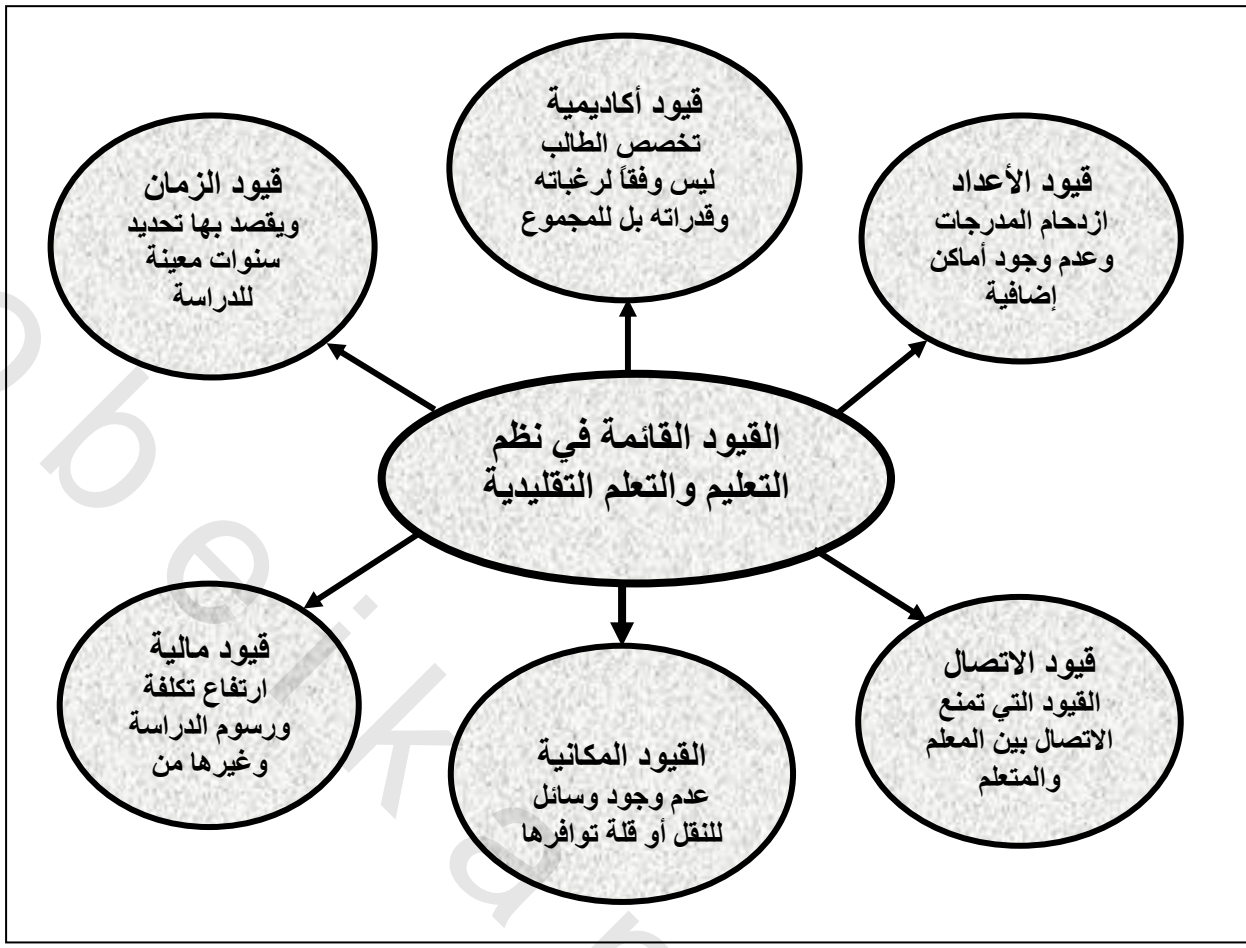

شكل رقم (١)
بعض القيود التي يعانيها التعليم التقليدى

ويشير "مجلس الكومنولث البريطانى" ***The Commonwealth of Learning*** إلى أن فلسفة التعليم المفتوح " هى فلسفة تؤكد على إعطاء الفرص للمتعلم لاختيار الوسيلة والمكان والزمان ومدة الدراسة ، وتدعيم تلك الفرص بالوسائط التعليمية المختلفة ، مع تحديد نقاط للدخول والخروج ، والمقصود منها عدم وضع قيود أمام التحاق ، أو استمرار الدارسين فى الدراسة ". [1] فالتعليم المفتوح يؤكد أساساً على التحرر من العقبات التى يفرضها النظام التقليدى على الطالب خاصة فيما يتعلق بالانفتاح في القبول ، ووسائل التعليم ، ومستوى المناهج ، والمساقات والمكان والزمان ، وفي جميع هذه الجوانب يتمتع الطالب بالحرية الكاملة في اختيار ما يتناسب مع قدراته الشخصية ورغباته وميوله.

وهذا ما أكده " أحمد إسماعيل حجى " (٢٠٠٣) أن كل المؤسسات أو الأشكال التعليمية التى تندرج تحت مصطلح التعليم المفتوح تبذل مجهودات لتوسيع حرية المتعلمين ، كما أن بعضها مفتوح بالمعنى المكانى ، على حين أن البعض الآخر يتيح حرية في نواحٍ أخرى كالقبول أو اختيار المقررات

---

[1] The Commonwealth of Learning , ***An Introduction to Open and Distance Learning*** , http://www.col.org/ODLIntro/INTROODL.htm., (accessed , October 24 , 2000) , **23.**

أو تكييف المنهج بطريقة مفردة أو تساعد على تفريد التعليم ، أو اختيار البداية والخطوات أو الأهداف ، أو مشاركة المتعلم في عملية التقويم، وتعدد أدواته ووسائله ". [1] ولعل الجامعة البريطانية المفتوحة هى خير تمثيل للانفتاح الكامل وإزالة القيود أمام الدارسين ، فكما تشير " سوسان تريسمان" ***Susan Tresman*** (٢٠٠٢) مديرة برنامج رعاية الطالب بالجامعة البريطانية المفتوحة إن شعار الجامعة البريطانية المفتوحة [2] :

"Open as to People , Open as to Place , Open as to methods and Open to ideas "

ومضمون ذلك الشعار هو الانفتاح أمام الأفراد ، والانفتاح فى المكان ، و الانفتاح فى الطرق والأفكار " ، وبذلك تعتبر الجامعة البريطانية المفتوحة هى خير تمثيل للتعليم المفتوح وذلك أحد أسرار نجاحها وتميزها على مستوى العالم ، وتشير الإحصاءات إلى أنه منذ إنشاء الجامعة البريطانية المفتوحة سنة ١٩٧١ ، وحتى الآن تلقى التعليم بها أكثر من ٢ مليون طالب ، وهذا يدلل لنا على قدرة هذه الجامعة الكبيرة على استيعاب أعداد كبيرة من الدارسين و الإمكانيات و الفرص التعليمية التى تتيحها أمام الدارسين . " فالانفتاح هو الغاية التي تحاول الوصول إليها ، ويمكن تشبيه السيناريو التعليمي بمتصل يقع عند أحد أطرافه الانغلاق وعلى الطرف الثانى الانفتاح وبين هذين الطرفين يقع النظام التعليمي في مكان ما ويحدد لنا درجة الانفتاح السؤال حول ثلاثة عناصر أساسية هى :

- من الذين يمكنهم الالتحاق بالبرنامج ؟ أى يعنى مدى السهولة في الالتحاق والدراسة .
- كيف يتعلمون ؟ أى الحرية في تحديد المكان والوقت والسرعة .
- ما الذى يمكنهم تعلمه ؟ أى حرية المتعلمين في اختيار الطرق والأهداف والمحتوى وأسلوب التقويم " . [3]

مفهوم التعلم عن بعد :

" إن مصطلح التعلم عن بعد قد حققا عموماً شهرة واسعة ؛ خاصةً بداية من أواخر الستينيات من القرن العشرين عندما بدأت اليونسكو فى الاهتمام بتبنى صيغ جديدة فى ميدان تعليم الكبار والتربية المستمرة . وتتعدد مسميات التعلم عن بعد فنجد أنه تتعدد مسمياته فيقال أحياناً ***Distance Learning*** (التعلم عن بعد) ، وفى أحيان أخرى ***Distance Teaching*** (التدريس عن

---

[1] أحمد إسماعيل حجى ، ***التعليم الجامعي المفتوح عن بعد من التعليم بالمراسلة إلى الجامعة الافتراضية – مدخل إلى علم تعليم الراشدين المقارن*** ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠٣) ، ٣٢.

[2] Susan Tresman , Towards a Strategy for Improved Student Retention in Programs of Open , Distance Education : A Case Study From Open University UK , ***International Review of Research in Open and Distance Learning*** , http://www.irrodle.org , (accessed , April 20 ,2002) .

[3] Derek Rowntree , ***Exploring Open and Distance Learning*** , (London : Kogan page limited, 1992) , 62 .

بعد) وتارة ثالثة التربية عن بعد ***Distance Education*** " . [1] وربما يكون هذا مؤشر لموضوع آخر ؛ فتعريف التعلم من بعد يلاقى الخلاف بين الباحثين فى تحديده مثله مثل أى مفهوم آخر فى العلوم الإنسانية والاجتماعية ، فلا يوجد اتفاق حول تعريف واحد ومحدد لمفهومه. [2]

وقد تعددت كتابات المتخصصين بالنسبة لمصطلح التعلم عن بعد أو التعليم عن بعد أو التعلم على البعد ، حيث هناك اتفاق على أن المصطلحات السابقة تؤدى الغرض فيما يتعلق بأن هناك مسافة بين المعلم والمتعلم ، فيستخدم مصطلح **التربية عن بعد** ***Distance Education*** للتعبير عن عملية التدريس والتعلم التى تتضمن نقل واكتساب المعارف والمهارات عبر وسائط متعددة و التى تستخدم نظراً للبعد بين المعلم والمتعلم ، كما أن مصطلح **التدريس عن بعد** أو **التعليم على البعد** ***Distance Teaching*** وذلك للإشارة إلى أن المعلم يدرس عن بعد ، ولكن فى حالة وصف عملية التعلم من قبل المتعلم – المستفيد– أى وصف استقباله للمادة المتعلمة فيصبح المصطلح المستخدم **التعلم عن بعد** ***Distance Learning*** . لذلك تتفق معظم الدراسات و البحوث على أن **التعلم عن بعد والتعليم عن بعد** يستخدمان بالتبادل وليس ثمة فرق كبير بينهما ، لأن كليهما يؤديان الغرض ، فيما يتعلق بأن هناك مسافة بين المعلم والمتعلم . [3] ويلخص الشكل رقم (٢) العلاقات السابقة :

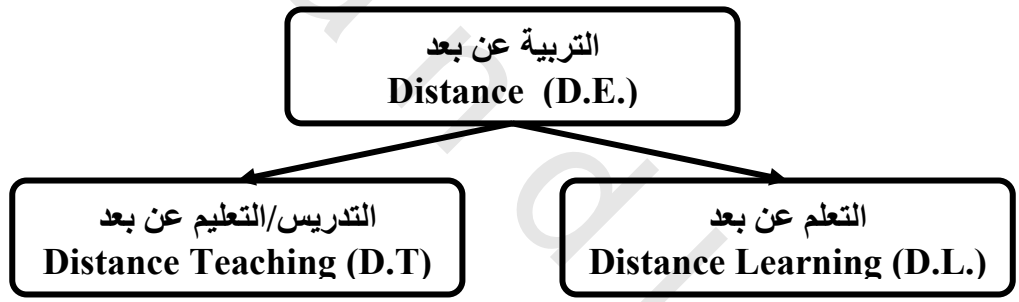

شكل رقم (٢)

يوضح العلاقة بين مفاهيم التربية عن بعد و التعلم عن بعد و التعليم عن بعد

و الشكل رقم (٢) يلخص لنا العلاقة بين التربية عن بعد ***(D.E.)*** و التى تشمل كل من : التعليم عن بعد ***(D.T)*** ، و التعلم عن بعد ***(D.L)*** .

---

(1) Shery, L. , Issues in Distance Learning , ***International Journal of Educational Telecommunications*** , 1(2001) : 337-365.

(2) A. W. Tony Bates, ***Routledge Flamer Studies in Distance Education Series*** ,(London: RoutledgeFalmer Softcover, 2005) , 246 .

(3) رشدى أحمد طعيمة ، " لغة الاتصال فى برامج التعلم عن بعد وأسس الكتابة فى برامج التعلم عن بعد " ، (ندوة اللغة المستخدمة فى التعلم عن بعد والتعليم المفتوح ٢٥-٢٧ أغسطس ٢٠٠١ ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ٢٠٠١) ، ٥ .

ويشير "حامد عمار" لملاحظة هامة فى هذا السياق حول اسم " التعليم عن بعد " فيصح تسميته فى ترجمته العربية بأنه تعلم **عن** بعد أو تعلم **من** بعد ، وأن هذا البعد كما يظهر فى اللغة الإنجليزية ليس صفة لنوع التعليم ، بل إنه يتضمن كل شروط ومتطلبات التعليم المألوف الذى يتم فى اللقاء العينى أو التفاعلى بين الطالب والمعلم ، والفرق بينهما هو أن التعلم عن بعد لا يتم فى مكان أو وقت معين وأن مصدره بعيداً عن المتعلم " [١].

أما عن تعريف التعلم عن بعد ، فيعتبر تعريف "هولمبرج" ***Holmberg*** والذي اقترحه في عام ١٩٧٧ من أشهر التعريفات وأبسطها و أكثرها تداولاً في دوريات التعلم عن بعد ، حيث يشير إلي أنه " مصطلح يشمل كافة أساليب الدراسة و كل المراحل التعليمية التي لا تتمتع بالإشراف المباشر والمستمر من قبل معلمين يحضرون مع طلابهم داخل قاعات الدراسة التقليدية و لكن تخضع عملية التعليم لتخطيط و تنظيم و توجيه من قبل مؤسسة تعليمية ومعلمين ". [٢]

بينما يعرف "سعيد سليمان" التعلم عن بُعد بإنه " محاولة لإيصال الخدمة التعليمية إلى الفرد حيث يقيم أو يعمل ، وهو بصفة خاصة يوجه إلى الفئات التي لديها رغبة في التعليم وقادرة عليه ". [٣]

ونلمس فى هذا التعريف التركيز على فلسفة وهدف التعلم عن بعد ، وهى أن يتعلم الفرد فى أى مكان وفى أوى وقت ، طالما لديه الرغبة والقدرة . ومن هنا تشير "اليونسكو" إلى إنه "عملية تربوية يتم فيها كل أو أغلب التدريس من شخص بعيد في المكان والزمان عن المتعلم ، مع التأكيد على أن أغلب الاتصالات بين المعلمين والمتعلمين تتم من خلال وسيط معين سواء كان إلكترونيا أو مطبوعا" [٤].

بينما تعرفه " الجمعية الأمريكية للتعلم عن بعد" ***USDL*** (٢٠٠٤) بأنه "عملية اكتساب المعارف والمهارات بواسطة وسيط لنقل التعليم والمعلومات متضمنا في ذلك جميع أنواع التكنولوجيا وأشكال التعلم المختلفة للتعلم عن بعد" [٥].

و يؤكد "بوتشر" ***Butcher*** (٢٠٠٠) أن التعلم عن بعد هو " مجموعة من الاستراتيجيات التدريسية و التعليمية (أوطرق التدريس) للتغلب على الانفصال المكانى أو الزمانى بين المربين

---

(1) حامد عمار ، ***الإصلاح المجتمعى : إضاءات ثقافية واقتضاءات تربوية*** ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : الدار العربية للكتاب ، ، ٢٠٠٦) ، ٢٢٤ .

(2) في علاء صادق : " الأسس النظرية للتعليم عن بعد " ، ***مجلة المعلم*** ، http://www.almaulem.net **(accessed,april20,2004)**

(3) سعيد أحمد سليمان ، " رؤية لواقع تجربة التعلم عن بُعد بكلية التجارة بجامعة الإسكندرية في ضوء الأسس والمبادئ الحاكمة لهذا المفهوم والقواعد المنظمة لمؤسساته " ***مرجع سابق*** ، ص ١٢٩.

(4) UNESCO , ***Open And Distance Learning : Trends, Policy and Strategy Considerations***, Op., Cit., 7

(5) USDLA (US American Distance Education Association), ***Definition of Distance Learning***. http//www.usdla.org/ . (accessed Mar 20 ,2004) .

والمتعلمين" [1]. وفى دراسة تحليلية لتعاريف التعلم عن بعد ، أشارت "شيرى" ***Sherry*** (٢٠٠١) إلى أن جميعها تشترك فى:

- الانفصال بين المتعلم والمعلم سواء مكانياً ، أو زمانياً أو كليهما معاً .
- ضبط والتحكم فى التعليم يكون بواسطة المتعلم أكثر من المعلم .
- الاتصال بين الطالب والمعلم بواسطة المواد المطبوعة أو غيرها من أِشكال التكنولوجيا." [2]

وبشكل عام يمكن القول بأن التعلم عن بعد هو تعليم يحدث عندما تكون هناك مسافة بين المعلم والمتعلم ، ويتم بمساعدة مواد تعليمية يتم إعدادها مسبقاً ، ويكون المتعلمين منفصلين عن معلمهم في الزمان أو المكان أو كليهما ولكنهم يتبعون توجيهاتهم وبالتالى فهو يتميز بالخصائص التالية:

١) يقدم للكبار في الغالب .

٢) المتعلم يتعلم كى يعلم ذاته بشكل مستقل باعتماده على الإرشاد أكثر من التدريس التقليدي.

٣) وجود مسافة بين المعلم والمتعلم .

٤) يتم بمساعدة مواد تعليمية يتم إعدادها مسبقاً .

٢ـ نشأة وتطور مفهوم التعلم عن بعد :

لقد ظهرت أساليب التعليم والتعلم عن بعد لمواجهة الزيادة الهائلة في حجم المعارف الإنسانية، والتطور العلمى وتطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة ، ولتوفير فرص التعلم لجمهور كبير من الراغبين في التعليم الذين لا يستطيعون التفرغ الكامل للالتحاق بالتعليم النظامى . وعموماً أرجع " طونى كاى" و" فرانس هنرى" (١٩٩١) انتشار التعلم عن بعد إلى " ثلاثة عوامل أساسية هى :

١ـ زيادة الطلب على هذا النوع من التعليم .

٢ـ الحاجة إلى تخفيض التكاليف الاقتصادية للتعليم فهو لا يحتاج لعدد كبير من الموظفين ويحتاج لتجهيزات تربوية أقل من التعليم الجامعي التقليدى .

٣ـ غزو تكنولوجيا وسائل الاتصال و الإعلام الحديثة لشتى مجالات الحياة بما فيها التربية و التعليم والتى من خلالها أمكن الوصول لشرائح اجتماعية عديدة لم تكن لتستطيع الدراسة بالنمط التقليدى المألوف " [3] .

---

(1) UNESCO , ***Guide Book for Planning Education in Emergencies and Reconstruction*** , (Paris : ILEP Printshop , 2006) , P. 1

(2) Shery, L. : Issues in Distance Learning , ***International Journal of Educational Telecommunications*** , 1(2004) : 337-365.

(3) Tony Kaye , Greville Rumble. Open Universities : A Comparative Approach . ***Prospects*** 21(2) . http://www.worldbank.org. (accessed January21, 2004), 26-214.

obeikandl.com

ويرصد تقرير "اليونسكو" (٢٠٠٢) في تسلسل رائع وموجز التطور التاريخي للتعلم عن بعد، حيث يبين بأنه مر بأربعة أجيال من التطور، ولكل مرحلة نموذجها التنظيمي الذي يتضمن نوعا معينا للاتصالات. وتتمثل تلك الأجيال في الآتي:

- الجيل الأول : التعليم بالمراسلة *Correspondence Learning* :

ظهر "التعليم بالمراسلة" منذ نهاية القرن التاسع عشر ولازال موجوداً في الكثير من الدول ، " ويعتبر "معهد التعليم بالمراسلة فى روسيا" منذ عام ١٩٥٠ من أول المؤسسات المنشأة خصيصاً لهذه الغاية على مستوى التعليم بعد الثانوى ، وكذلك "معاهد التعليم البولتكنيكى بالمراسلة" وكانت غايتها الأساسية تقديم تعليم عالٍ عن بعد منها "معهد توسان ولنجشيدت" فى "برلين" الذى تأسس عام ١٨٥٦م. أما على مستوى الجامعات فقد انتشرت الدراسة بالمراسلة فى "جامعة لندن" منذ عام ١٨٥٨م ، وبالمثل كان الوضع فى "جامعة شيكاغو" الأمريكية ١٨٩١ ، و"جامعة إيلينوى" ١٨٧٤م ، و"جامعة وسكنسون" ١٩٠٦م ، وفى كندا "جامعة كوينز" ١٨٨٩. وقد اعتمدت الدراسة بالمراسلة على : المواد المطبوعة والإرشادات المصاحبة التي قد تتضمن وسائل سمعية وبصرية. وكان البريد العادي هو وسيلة التواصل بين طرفي العملية التعليمية من معلم ومتعلم " [١].

- الجيل الثانى : نموذج الوسائط المتعددة The Multi-Media Model :

وهو نموذج يعتمد على المادة المطبوعة والأشرطة السمعية ***Audio Tape*** والأشرطة المرئية ***videotapes*** والتعليم بمساعدة الكمبيوتر ، والأقراص المدمجة والبث التليفزيونى والإذاعة.

- الجيل الثالث : نموذج التعلم عن بعد *The Telelearning Model* :

يشمل على المؤثرات المرئية ***Video Conferencing*** والاتصالات البيانية المسموعة ***Audiographic Communication*** ، وبرامج الأقمار الصناعية ***Satellite Programs.***

الجيل الرابع : نموذج التعليم المرن : *The Flexible Learning Model* :

" يجمع هذا الجيل بين الوسائط المتعددة التفاعلية ***Interactive Multimedia*** مثل شبكة الإنترنت والبريد الالكترونى والأقراص المدمجة التفاعلية ***Interactive C.D.s*** ، وكذلك الفصول الافتراضية ***Virtual Classroom*** ، والمكتبات الالكترونية والكتب الإلكترونية وقواعد البيانات ، والمحادثات ذات الاتصال المباشر ***Online Discussion*** وغيره من وسائل اتصالية وتعليمية " [٢] . وهو جيل يعتمد عموماً على الأنظمة المرتكزة على شبكة الإنترنت-(***Internet-Based Systems***) فالمواد التعليمية فيها متضمنة للوسائط المتعددة ومجهزة بطريقة إلكترونية تنتقل

---

(1) Tony Kaye , Greville Rumble , " Open Universities : A Comparative Approach" , Op. Cit., 26-214 .

(2) Pelton, J.,N., "Technology and Education : Friend of Foe" , ***Research in Distance Education*** , 15(1991) : 2-9.

إلـى الأفـراد بواسـطة جهـاز الحاسـوب مـع تـوافر إمكانيـة الوصـول إلـى قواعـد البيانـات والمكتبـات الإلكترونية. ويمكن من خلال تلك الأنظمة توفير التفاعل بين المعلم والمتعلم من جهة وبين المتعلم وزملائـه مـن جهـة أخـرى سـواء بطريقـة تزامنيـة (***Synchronous***) مـن خـلال بـرامج المحادثـة ومؤتمرات الفيديو أو لاتزامنية (***Asynchronous***) باستخدام البريد الإلكتروني ومنتديات الحوار.

ويوضح الشكل رقم (٣) أجيال التعلم عن بعد :

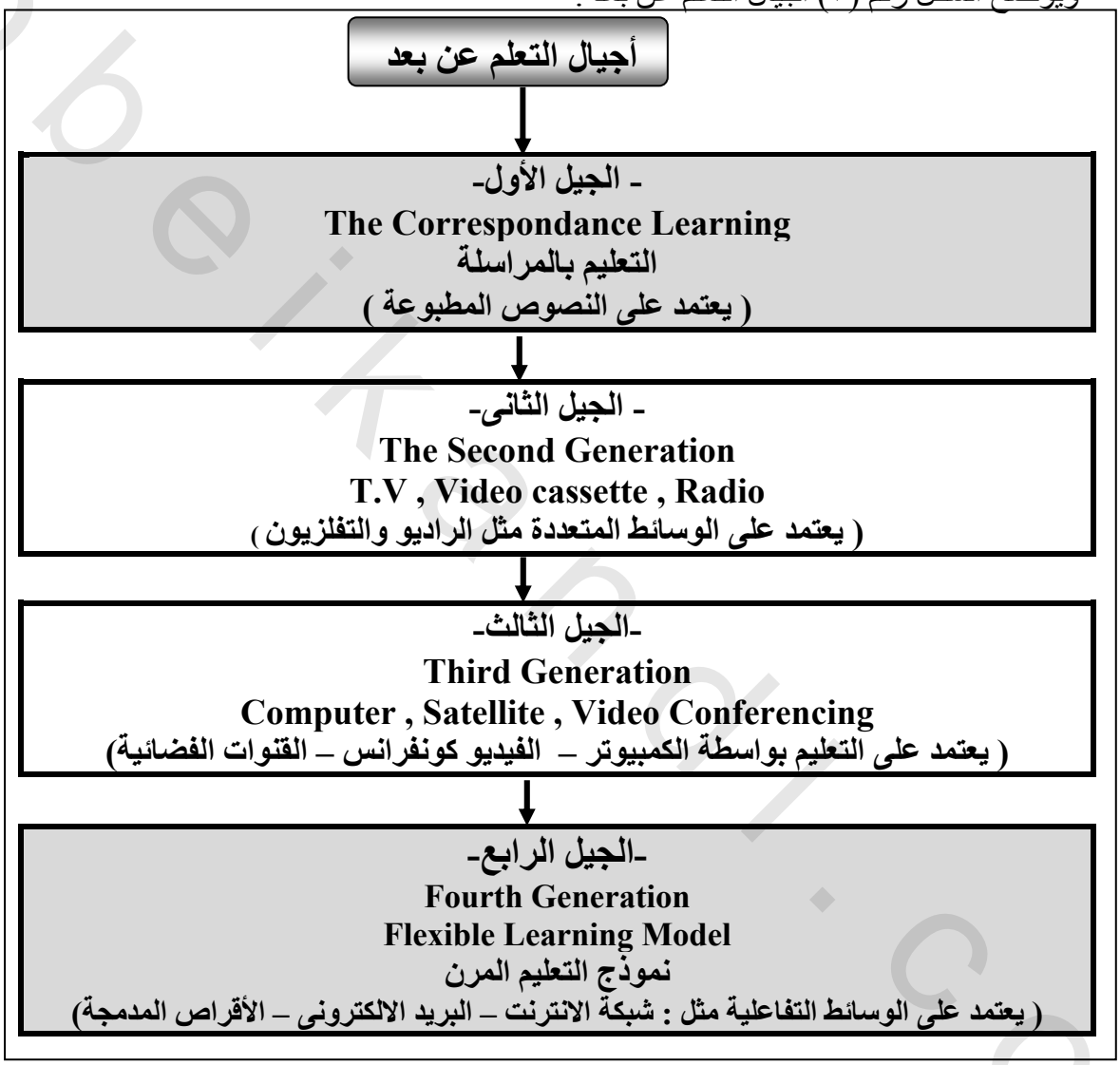

شكل رقم (٣) يوضح تطور أجيال التعلم عن بعد

على حسب نوع الوسائط والتكنولوجيا المستخدمة

وقد ساهم كل جيل من الأجيال السابق ذكرها في ظهور مؤسسات تعليمية متنوعة مستفيدة من تطبيقه. كما أن الانتشار الهائل للإنترنت والتدفق السريع للمعلومات عمل على ظهور أنواع جديدة من المؤسسات تعليمية التي تعتمد على التكنولوجيا بشكل رئيس وهي التي تعرف بالمؤسسات أحادية النمط (***Single Mode***) حيث يكون التعلم عن بعد هو مسئوليتها الوحيدة. ويشار للنوع

المتطور منها بالجامعات الافتراضية (***Virtual Universities***). وهناك المؤسسات التعليمية ذات النمط الثنائي (***Dual Mode***) والذي يتضمن كلا النوعين التقليدي والتعلم عن بعد.

ثانياً : العلاقة بين مفهوم التعليم المفتوح ومفهوم التعلم عن بُعد :

أما عن العلاقة بين التعليم المفتوح والتعلم عن بعد ، فنجد أن هناك عدة اتجاهات فى التعامل مع تلك العلاقة :

أ- التعليم المفتوح و التعلم عن بعد متماثلان :

* وهذا الاتجاه يميل إلى التعامل مع كل من التعليم المفتوح والتعلم عن بعد على أن لهما معنى واحد ، وهو ما أشار إليه " قاسم " (٢٠٠١) " فكل منهما يمثل نظام تعليمى يتخذ الترتيبات اللازمة لتخفيف القيود عن الراغبين في التعليم أو إزالتها على أن يكون من بين تلك الترتيبات : استخدام وسائط ومواد تعليمية متعددة وفق استراتيجيات محددة داخل منظومة متكاملة لنقل المعرفة ، وتوصيلها للراغبين في أماكنهم ، مع إتاحة فرصة الاتصال المباشر بالمعلمين ، أو المرشدين الأكاديميين بعض الوقت لتلقى العلم ، أو الإرشاد والتوجيه " [(١)] .

كذلك يشير "مجلس الكومنولث البريطاني" للتعليم إلى أن التعليم المفتوح والتعلم عن بعد عبارة عن مجموعة من الطرق لتقديم فرص التعليم ، وتتميز بالانفصال بين المعلم والمتعلم في الزمان والمكان أو كلاهما ، ويتم اعتماد الدرجات العلمية من مؤسسات أو وكالات ، واستخدام مجموعة متنوعة من الوسائط والمواد المطبوعة والإلكترونية ، ووسائط الاتصال ذات الاتجاهين التي تسمح للمتعلمين والمعلمين بالتفاعل ، وإمكانية إجراء مقابلات وجهاً لوجه " [(٢)] .

وقد نظرت الجامعات المصرية للتعليم المفتوح والتعلم عن بعد على إنهما شئ واحد ، فعلى سبيل المثال في لائحة التعليم المفتوح بكلية التجارة جامعة الإسكندرية (٢٠٠٤) "التعليم المفتوح هو بالدرجة الأولى تعلم عن بعد ، فهو يعمل على توفير الخدمة التعليمية للراغب فيها في أماكن تواجده وفى الوقت الذي يرغبه الدارس ، ومن ثم فالتعليم المفتوح لا يقتضي أصلاً الاتصال المباشر بين الأستاذ والدارس ، وإنما يتم اكتساب المهارات والخبرات عن بعد ، ويحقق هذا التعليم ميزة أساسية هى المرونة ، فالدارس يختار المقررات التي يدرسها كما انه يدرسها في الزمن والمكان و بالسرعة

[(١)] عادل الجندي وآخرون : ***التعلم عن بعد وتقنياته في الألفية الثالثة*** ، (المملكة العربية السعودية ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠٤) ، ٢٠-٢٢.

[(2)] The Commonwealth of Learning , ***An Introduction to Open and Distance Learning*** , **Op.Cit.**

المناسبة لـه " . [1] ومن تحليلنا لهذا الاتجاه فى التعامل مع مفهومى التعليم المفتوح والتعلم عن بعد يمكن القول أن هناك علاقة وثيقة بينهما نتيجة :

١-اشتراكهما في عديد من الجوانب الخاصة بالعملية التعليمية مثل فلسفة التعليم المتبعة ، فئات الدارسين ، أماكن الدراسة ، توقيتات الدراسة ، وسائل الاتصال .

٢-التعليم المفتوح يركز على : أهداف النظام التعليمي ، وتشمل مميزاته التخلص من بعض القيود والمعوقات في طريق التعليم ، بينما التعلم عن بعد يركز على الوسائل التي تسهل تخطى تلك المعوقات والهدف المشترك بينهما هو إتاحة أقصى فرص التعليم للراغبين فيه [٢] .

ب- التعليم المفتوح و التعلم عن بعد مختلفان :

* أما **الاتجاه الثانى** يميل للتعامل مع هذين المفهومين على أنهما مختلفان ، فمنظمة " اليونسكو" في مؤتمرها (١٩٩١) تشير إلى أن " أغلب برامج التعليم العالي عن بعد لا تمثل تعليماً مفتوحاً ، بل إن أكبر مؤسسات التعلم عن بعد موجودة من أجل زيادة عدد الأماكن الجامعية المخصصة للأشخاص بين أعمار ١٨-٢٢ سنة ، وهى تضع شروطاً للقبول تماثل الشروط التى يضعها التعليم العالي التقليدى" [٣].

وبالمثل يفرق " ديرك رونترى " (١٩٩٥) بينهما ، ويشير إلى أن " التعليم المفتوح يتضمن شيئين مختلفين هما الفلسفة والطريقة : **فالفلسفة** تشمل كما أجمع عليها الخبراء فتح فرص التعليم لأكبر عدد من الأفراد ، وتمكينهم من التعلم بصورة أكثر إنتاجية وملائمة لاحتياجاتهم ، ويتضمن ذلك التخفيف من حدة العوائق وإعطاء المتعلمين قدراً أكبر من السيطرة على تعلمهم. أما من ناحية **الطريقة**: فقد يكون عن طريق نظام التدريس وجهاً لوجه ***Face-to-Face***، أو نظام التدريس عن بعد ***Distance Teaching***. وينشأ الكثير من الخلط بينهما فقد لا يدرك البعض أن الفلسفة يمكن تطبيقها دون استخدام الطريقة ، وأن الطريقة يمكن استخدامها دون الفلسفة وهذا هو الأكثر شيوعاً ". [٤]

ويؤكد "فيل رس "***Phil Race*** أن"التعلم عن بعد هو مجموعة فرعية من التعليم المفتوح". [٥]

وعلى هذا المعنى يتفق الكثير من الباحثين ، فالتعلم عن بعد أحد أدوات وأساليب تحقيق التعليم المفتوح . والنظرة السابقة أيدتها "نجوى يوسف " (١٩٩٥) فترى أن التعلم عن بعد يركز على كيفية

---

(1) كلية التجارة ، ***لائحة التعليم المفتوح*** ، (الإسكندرية: كلية التجارة ، جامعة الاسكندرية ، ٢٠٠٤) ، ١٠٠ .

(2) عادل الجندي وآخرون : مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(3) منظمة اليونسكو ، ***التعليم من بعد : وجهات نظر للتعاون الدولى والتطورات الحديثة في التكنولوجيا*** ، ترجمة كمال يوسف ، (تونس : المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم ، ١٩٩١) ، ٣٨-٤٠.

(4) Derek Rowntree, Ibid .

(5) Phil Race **, *Open Learning : Hand Book*** , 2nd Edition , (London Kigan Page , 1994), 22-23.

الاتصال بالمتعلم أو الوصول إليه ، بينما يركز التعليم المفتوح على كيفية التعلم وأهدافه فى ضوء خصائص المتعلم وظروفه الخاصة ، واعتبرت أن التعلم عن بعد نظام فرعى للتعليم المفتوح . [١]

كما يؤكد كل من "كيمبر" ***Kember*** و"مورفى" ***Murphy*** " أن الأدبيات التربوية تشير إلى عدم تساوى مصطلحا التعليم المفتوح والتعلم عن بعد "[٢] ، ويؤكد "هودجسون" ***Hodgson*** نفس الرأى "إن التعليم المفتوح ليس مرادفاً للتعلم عن بعد ، فهناك درجة من الاتفاق بين الباحثين أن التعلم عن بعد (وما يرتبط به من مصطلحات) هو أحد أشكال التعليم المفتوح " [٣]. ويلخص " كمبر ومورفى " تلك الفكرة عن العلاقة بين التعليم المفتوح والتعلم عن بعد كما نرى فى الشكل (٤) :

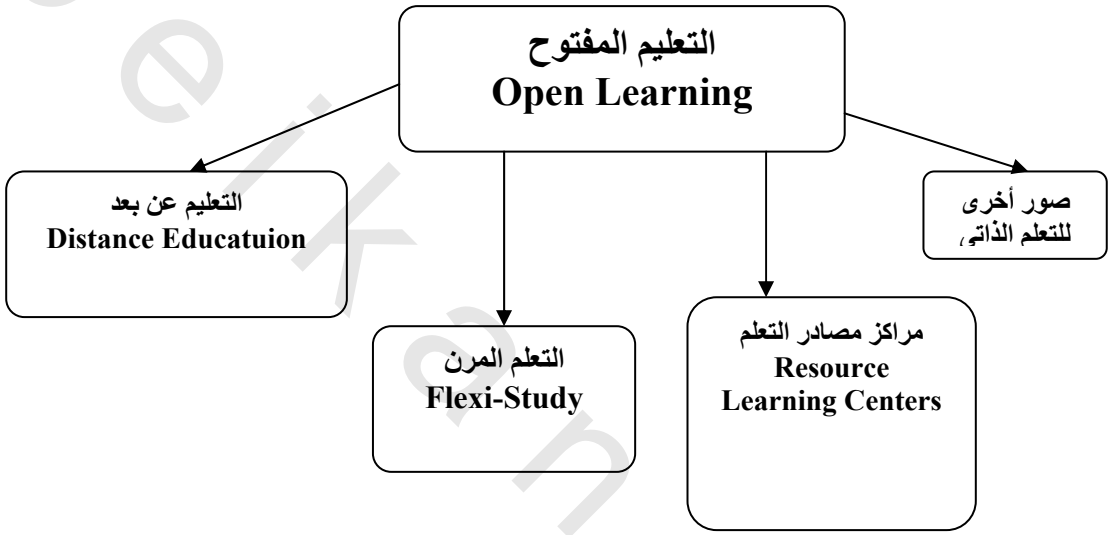

شكل (٤) نظرة "كمبر ومورفى" للتعليم المفتوح

ويشير الشكل رقم (٣) إلى أن التعلم عن بعد ، و التعلم المرن والاعتماد فى التعليم على مراكز مصادر التعلم ، وغيرها من صور التعلم الذاتى هى مجموعات فرعية من التعليم المفتوح [٤] . بينما يعتبر البعض أن" مصطلح أن التعلم عن بعد أشمل وأعم ؛ وأن التعليم الجامعي المفتوح ما هو إلا أحد

---

[1] نجوى يوسف ، "***تخطيط التعليم المفتوح فى مصر***" ، (رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد الدراسات والبحوث التربوية ، القاهرة ، ١٩٩٢) ، ١٧ – ١٨.

[2] Kember , D. and Murphy , M. " A Synthesis of Open and Distance and Student Centered Learning" , ***The Journal of Open and Distance Learning*** , Vol. 5 No. 2 , June 1990, 2.

[3] Hodgson , B., ***Key Terms and Issues in Open and Distance Learning*** , Kogan Page , London , 1993,11-17.

[4]) Kember , D. and Murphy , M. " A Synthesis of Open and Distance and Student Centered Learning" , ***op.cit.,*** 2

التطبيقات العديدة للتعلم عن بعد ". [١]

وخلاصة ما سبق أن هناك اختلاف بين كل من مفهومى التعليم المفتوح والتعلم عن بعد ، فالتعليم المفتوح قد يكون أحد أساليب تنفيذه هو استخدام التعلم عن بعد ، والاستفادة من مزاياه " فعندما يستخدم التعلم عن بعد كأحد أساليب التقدم التكنولوجى وتطبيقاته في مجال الاتصالات فإن ذلك يجعل المادة العلمية والتعليمية في متناول المتعلم أين يكون ومتى يرغب ، من خلال وسائل الاتصال المتعددة والمتنوعة " [٢] . فالتعلم عن بعد كأسلوب للدراسة هو الأقدم ، أما التعليم المفتوح ، فقد نشأ واعتمد على أساليب التعلم عن بعد . ورغم أن هناك بعض الجذور التاريخية القديمة للتعليم المفتوح إلا أن صيغته المعروفة لم تتحدد إلا بظهور الجامعة البريطانية المفتوحة في نهاية الستينيات ، وانتشر منها إلى باقى أنحاء العالم ومن ثم اتسعت صيغه وأنماطه المختلفة . ويشير " فريد لوكوود " ***Fred Lockwood*** (٢٠٠١) إلى إن " التعليم المفتوح والتعلم عن بعد لم يصبح اللجوء إليهما مسألة اختيار بل ضرورة تفرضها عمليات التغير السريعة في في عملية التعليم في القرن العشرين والواحد والعشرين ". [٣]

ثالثاً : - التعليم الجامعي المفتوح عن بعد : *Open Distant Learning (O.D.L)*

إن التعليم المفتوح يفيد عندما يندمج مع التعلم من بعد من التقدم التكنولوجى وتطبيقه فى مجالات الاتصالات و العلوم و التعليم ، بما يجعل المادة العلمية و التعليمية فى متناول المتعلم أين يكون ، ومتى يرغب من خلال وسائل الاتصال المختلفة كشبكة الانترنت ، وبذلك يتحول دورالتعليم المفتوح إلى التأكيد على عملية التعلم بدلاً من التدريس المباشر وما يرتبط به من تعليم تلقينى" . [٤]

ويلجأ بعض المؤلفين والكتاب لإطلاق مصطلح " التعليم الجامعي المفتوح عن بعد " أو كما يسمى فى الانجليزية ***Open Distant Learning*** ، ويعرفه "مور" ***Moore*** و"كيرسلى ***Kearsley"*** (٢٠٠٠) على أنه مجموعة من الطرق الجديدة التى تتناول توزيع مواد التعلم على الطلاب المعزولين أو البعيدين مكانياً عن معلميهم بحيث أن النسبة الأكبر من عمليات التدريس تتم خارج المؤسسات التعليمية " ولعل هذا هو أحدث المسميات التى نجدها شائعة فى الدراسات والبحوث

---

[1] إسماعيل صالح الفرا ، " التعليم المفتوح و التعلم من بعد ضرورة عصرية ومجتمعية : دراسة لتجربة جامعة القدس المفتوحة من وجهة نظر الدارسين " ، (بحث منشور بمؤتمر التعليم الجامعي " نماذج وتطبيقات تربوية" ، كلية التربية ، جامعة اليرموك ، أربد ، ٧-٩أكتوبر، ٢٠٠٣م) ، ٢٢ .

[2] أحمد إسماعيل حجى : ***التعليم الجامعي المفتوح عن بعد*** ، مرجع سابق ، ٣٣.

[3] Fred Lockwood A., J**.,** ***Innovation in Open and Distance Learning : Successful Development of On line and Web based learning,*** (London : Routeledge. 2001), 227.

[4] المرجع السابق ، ٣٣-٣٤.

المعاصرة حيث يعرف اختصاراً (***O. D. L.***). [1] ويلخص الشكل رقم (٥) العلاقة بين بعض المفاهيم .

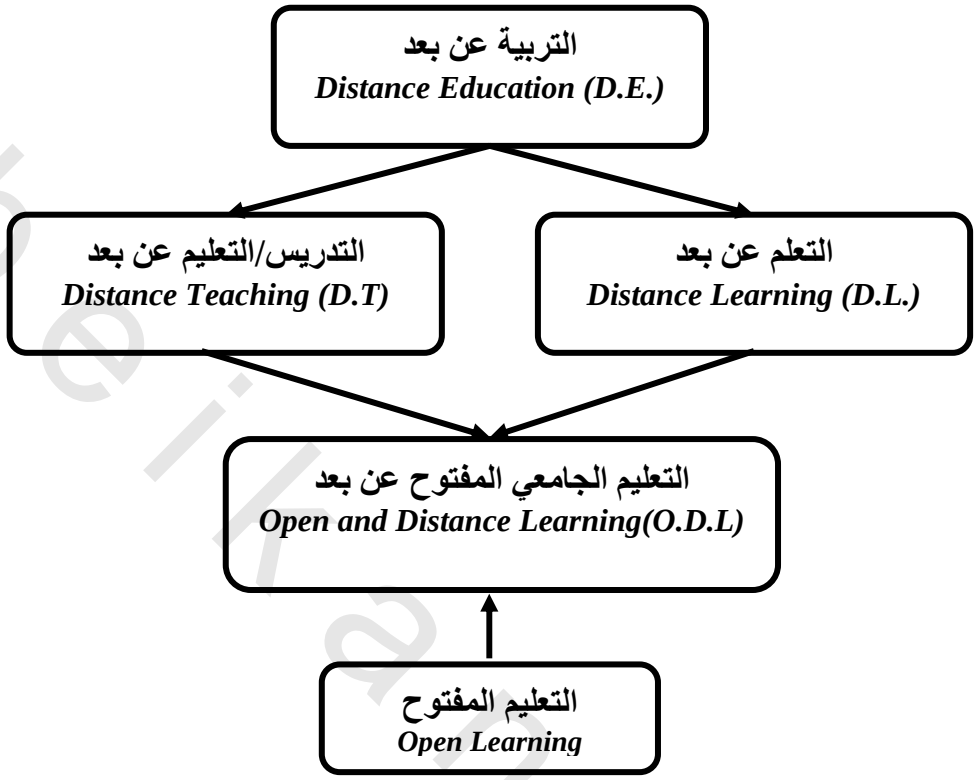

شكل رقم (٥)

اندماج مفهوم التعلم مفهوم التعليم و التعلم عن بعد و التربية عن بعد والتعليم المفتوح [٢]

حيث فى الشكل رقم (٥) العلاقات بين المفاهيم المختلفة واندماجها معاً ، فالتربية عن بعد تشمل التعليم عن بعد ، و التعلم عن بعد ، واللذان يندمجان مع التعليم المفتوح لينتج عنها مفهوم جديد وهو التعليم المفتوح عن بعد .

---

(1) Moore , M. G. & Kearsley , G. , ***Distance Education ; A System View*** ., (Belhomt : CA Wadsworth Publishing Company , 1996) , 6.

(2) Tella ، S., An 'Uneasy Alliance' of Media Education and Multiculturalism, with a View to Foreign Language Learning Methodology : Media Education Centre (Finland , Helisinki .University of Helsinki. Department of Teacher Education .OLE Publications , 1997),14-17.

الجذور التاريخية لفكر التعليم المفتوح :

" تشير العديد من الدراسات والبحوث إلى أن تاريخ التعليم المفتوح يعود إلى العصر اليونانى حيث ظهرت بوادره على يد كل من "سقراط" و"أفلاطون" و"أرسطو" ؛ فقد كانت كثير من كتابتهم تعزز فردية الانسان ، وما يمكن أن ينجم عن هذه الفردية عندما تدعم بالأمور العقلانية أو أثناء تركها للطبيعة تأخذ منها ما تشاء " [١].

" أما التربية الإسلامية فقد دعت إلى التعلم و الاستمرار فيه " من المهد إلى اللحد " ونشره عن طريق مؤسسات تربوية متنوعة بما يتيح للرجال و النساء ، والكبار و الصغار ، والعلماء وأفراد الشعب الاستمرار فى طلب التعلم مدى الحياة لمواجهة التغيرات المتلاحقة عبر الزمن ، لذا لم يكن غريباً أن التربية الإسلامية لم تتقيد بحدود الزمان أو المكان ولا العمر أو على جنس دون الآخر ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فى جميع المراحل . وذلك يحقق مبدأ ديمقراطية التعليم أمام الجميع كل وفق قدراته واستعدادته وإمكاناته ، كما أنها مرنة وتسمح بتنوع أنماط واشكال التعلم و التعليم و الأشكال البديلة لتحصيل العلم " . [٢]

وقد عرف المسلمون بعض أنواع التعليم المفتوح منذ أمد بعيد ، وربما كان في بعض صوره موجوداً إلى يومنا هذا ، وخصوصاً في بعض المدارس القرآنية والزوايا والكتاتيب الإسلامية ، حيث لا يرتبط الدارس بزملائه إلا في مكان الجلوس ، ولكنه ربما يكون متقدماً عليه في مستواه أو مختلف عنه، ويتحكم في ذلك إتقانه لما يكلفه به المدرس ، فإن أنجز تجاوز إلى ما يليه من المقرر ، وكأن نظام التعليم في المساجد أو المدارس التابعة لها يتيح للطلبة حرية اختيار المواد التي يدرسونها ، والمعلم الذي يتولى تدريسهم ، ولذلك كان عدد الطلاب يزداد حسب شهرة المعلم ومكانته ، كما كان يتاح للطالب حرية اختيار الحلقة الدراسية التي يرغب فيها من حيث مكانها وعدد مرات انعقادها . [٣]

---

[1] انظر :

- سعيد أحمد سليمان ، "الجامعة المفتوحة كصيغة مقترحة لتعليم الكبار فى مصر : دراسة تحليلية " ، مرجع سابق ، ٣٨-٤١ .

- سهير محمد حوالة ، التقرير النهائى لمشروع نظم وبرامج التعليم المفتوح والتعلم عن بعد : دراسة تقويمية فى ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة " ، (القاهرة : أكاديمية البحث العلمى بالاشتراك مع معهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة ،٢٠٠٦) ، ٨٤.

[2] إسماعيل صالح الفرا ، " التعلم عن بعد و التعليم المفتوح : الجذور و المفاهيم و المبررات " ، ***مرجع سابق*** ، ٢٨-٢٩.

[3] حسين المؤمنى ، " حرية التعلم في التقاليد العربية والإسلامية " ،(ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة التعلم عن بعد ، منتدى الفكر العربى ، عمان، ١٩٨٨) ، ١٢٩-١٣١.

بل يذهب بعض الباحثين و المؤرخين إلى نتيجة مؤداها أن " المدرسة أو المسجد في زمن الحضارة الإسلامية قد سبق مؤسسات التعليم الحديثة للتعليم المفتوح وأرسى قواعد هذا النوع من حيث الفلسفة و المنهج بما يتناسب مع تلك الحقبة الزمنية". [1]

ويرى "جان جاك روسو" ***Jean Jacques Rousseau*** (١٩١١) في كتابه الشهير "إميل" ***Emille*** أن الطبيعة خيرة وأن تدخل الانسان في إصلاحها يمثل فساداً لها ، لذا ففي رأيه فإن الطفل باعتباره جزءاً من الطبيعة ينبغي أن تحترم طبيعته وذاتيته فيتعلم بنفسه ما هو صواب وما هو غير ذلك . وركز في ذلك على حريته في اللعب ، وحريته في الحكم على الأشياء . وعلى الرغم من أقواله هذه فإن "روسو" لم يطبق تلك الأفكار في عالم الواقع . وظهر "بستالوزى" ***Pestallozzi*** بما أطلق عليه (التدريس الموضوعى أو الهادف) ، حيث كتب في القرن التاسع عشر الميلادى أن الاطفال يحسن بهم أن يدرسوا العالم على طبيعته المحيطة بهم عن طريق استخدام المواد المختلفة التي تساعد في التدريس ، وأن يتم ذلك على الطبيعة خارج حدود الغرف الدراسية .

وأوضح "فروبل" ***Froebel*** عام ١٨٩٢ أن التعليم إنما ينظر إليه من حيث كونه عملية خلق وتنمية للذات ، وأن الطفل ينمو فقط عندما يتمكن من اكتشاف ذاته ، وأن الغرض من التدريس هو أن يساعد على إخراج طاقات الأطفال الكامنة بدلاً من أن تزوده بمعارف قد لا تكون مهمة بالنسبة إليه أو من حيث تطبيقها وممارستها في الحياة .

كما ظهرت "ماريا منتسورى" ***Maria Montessori*** متأثرة بهذه الأفكار التي جاء بها "فروبل" ومن سبقه وأصدرت دراستها الشهيرة"بامبينى" ***Bambini*** في إيطاليا حيث اهتمت اهتماماً شديداً بموضوع توافر الأدوات والوسائل التعليمية في تعليم الأطفال ، وأهمية فردية كل فرد في استخدامه لتلك الأدوات والوسائل واهتمت بكون المدرس ذا أثر في الموقف التعليمي على عكس ما ذهب إليه "روسو" الذي اعتقد بان المدرس لا ضرورة له في الموقف التعليمي في المذهب الطبيعى للتربية ، واعتبرت أن دوره محدوداً في الإشراف والتوجيه من ناحية ، وإعداد المواقف التي تدفع الأطفال للتعلم في بيئة مجهزة تجهيزاً خاصاً بهم فيصبح ما بها محققاً لرغباتهم وميولهم . ولعل "جان بياجيه" ***Jean Piaget*** عالم النفس السويسرى أحد مؤيدى هذا الاتجاه ، فقد اعتقد أن الخبرة تمثل أساس التعلم لدى الأطفال ، فهم بحاجة إلى أن يحصلوا عليها عن طريق معايشتها واكتسابها ذاتياً . فالأشياء التي حولهم يجب أن يلمسوها وأن يحسوا بها وأن يجمعوا مادتها بأنفسهم ، فإن لم يفعلوا ذلك فإن تعلمها لن يعنى شيئاً بالنسبة إليهم . ويمكن تقديم الخبرة لهم بطرق متعددة ، مثلاً إتاحة افرصة لهم

---

[1] إسماعيل صالح الفرا ، " التعلم عن بعد و التعليم المفتوح : الجذور و المفاهيم و المبررات " ، مرجع سابق ، ٢٨-٢٩.

لتجريب الأشياء التي يدرسونها ، وأنهم في ذلك سوف يخطئون ولكنهم سيتعلمون من أخطائهم وسوف تنمو قدراتهم تدريجياً وتصبح لديهم القدرة على الملاحظة الاستدلالية مع التدريب.

فخلاصة أفكار "بستالوزى" و "فروبل" و "منتسيورى" و"ديوى" و"بياجيه " أنه لا يوجد محتوى تعليمى مبنى مسبقاً ، فالطلاب هم الذين يوجدون المناشط التعليمية ، ويوجهون أنفسهم ويتحملون المسئولية ، ونتيجة لهذا التوجه فقد تبنى هؤلاء الفلاسفة و المربون ما يسمى بإطار الخبرة المفتوحة فى تفريد التعلم والتعلم الذاتى.[١]

ومن هنا أخذت الأنظار تتجه نحو التعليم المفتوح خارج أسوار المدرسة من أجل الاتصال بالبيئة الخارجية ومعرفة أسرارها . وذلك عن طريق الملاحظة والمشاهدة واكتساب المعرفة الملموسة التي أشار إليها علماء التربية ." وكان نتاج تلك الدعاوى و الأفكار هو ظهور ما يسمى بالمدارس المفتوحة الحرة ، و المدرسة الحرة . والتى تهدف إلى ترقية النمو الفردى بإتاحة بيئة معرفية صحيحة للتعلم ومن أشهر تلك المدارس مدرسة "سمرهيل فى انجلترا " وعرفت كذلك باسم مدرسة الصفوف المفتوحة وغرفة الصف المفتوحة . وانتشر ذلك النوع من المدارس فى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً " .[٢].

"وفى الستينيات انتشرت الدعوة إلى اللامدرسية على يد العالم الأمريكي " إيفان إيليتش" ***Evan Illitch*** فى كتابه " مجتمع بلا مدارس " ، وكذلك ريمر فى كتابه " موت المدرسة " وأيدهم فى ذلك كل من "نيل" ، و"دينسون" و"هولت" و"جلسر" وكل ذلك كان بمثابة نقطة للتحول على النظم التعليمية التقليدية وساعد على انتشار ما يسمى "بكليات المجتمع" ***Conmmunity Colleges***،و "التعليم الموازى" ***Paralled Education*** أو "نظام التعليم الظلى" ***The Shadw School System*** . [٣]. فنتيجة توالى الانتقادات الجمة التى وجهت إلى التعليم بصوره التقليدية ، والدعوة إلى البحث عن نظام تعليمى يحقق رغبات المجتمع من ناحية ويقابل الثورة العلمية والتكنولوجية من ناحية أخرى ، ومن هنا ظهرت صيغ الجامعات الشعبية ، والتعليم بالمراسلة ، والجامعات بلا أسوار ، والجامعات المفتوحة ، وذلك فى فترتى الخمسينيات و الستينيات .

---

(1) إسماعيل صالح الفرا ، " التعلم عن بعد و التعليم المفتوح : الجذور و المفاهيم و المبررات " ، مرجع سابق ، ٢٤-٢٥.

(2) توفيق أحمد مرعى ومحمد الحيلة ، ***تفريد التعليم*** (عمان : ، دار الفكر ، ١٩٩١) ، ٣٢.

(3) سعيد إسماعيل على ، ***فلسفات تربوية معاصرة*** ، (الكويت : عالم المعرفة (١٩٨) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب يونيو ١٩٩٥) ، ٢٥.

نشأة صيغة الجامعة المفتوحة:

تشير الدراسات والمراجع [1] في تحليلها لنشأة الجامعة البريطانية المفتوحة إلى أن هذه الجامعة انطلقت من ثلاثة اتجاهات تربوية حديثة بعد الحرب العالمية الثانية **أولها** يتعلق بتطور فكرة تعليم الكبار ، **وثانيها** تزايد التعليم الإذاعى (عبر الراديو) ، **وثالثها** الهدف السياسى لتوسيع نطاق المساواة في التعليم .

فالاتجاه الاول : إتاحة فرصة التعليم العالي للكبار الذين هم ولسبب ما ، لم يتمكنوا من الإفادة من الفرص المحدودة التي تقدمها مؤسسات التعليم العالي لدى تخرجهم من المدرسة الثانوية أو بعدها بقليل ، و الدعوة لتحقيق مبدأ التربية المستمرة حيث أن فئات الطلاب المستهدفة تتجاوز الواحد والعشرين عاماً ، وهم يدرسون في أوقات فراغهم من العمل .

بينما **الاتجاه الثانى** فجاء نتيجة للتطور المذهل في وسائل الاتصالات والتقنية و نمو استخدام الإذاعة وغيرها من وسائل الاتصال في التعليم ، إضافة إلى ما أولته هيئة الاذاعة والتليفزيون البريطانية من اهتمام كبير بالتربية فى أهدافها وخططها وبرامجها .

أما **الاتجاه الثالث** : فهو إتاحة الفرص في الدراسة لكل طالب بغض النظر عن عمره ومؤهلاته العلمية وذلك ؛ حرصاً من الدولة إثراء المعرفة وتعميقها ونشرها بين أكبر عدد من سكانها ؛ لتتمكن من تنمية مواردها ورفع القدرة الإنتاجية للقوى العاملة ضماناً للحفاظ على تقدمها – حيث يفتح التعليم الجامعي لكل راغب فيه ؛ فينال قسطاً منه وفقاً لمجهوده الشخصى ، ومستعيناً بالإمكانات التي توفرها له الجامعة سواء عن طريق الحلقات الدراسية أو المراسلة ، أو وسائل الاتصال وحضور الامتحانات التي يمنح بعدها الشهادة إن اجتازها بنجاح .

وترجع فكرة إنشاء الجامعة المفتوح ببريطانيا إلى عام ١٩٢٦ حيث عرض مستر ستوبارت ***Stobart*** فى الذكرى السنوية لهيئة الإذاعة والتليفزيون البريطانية **.B.B.C** فكرة إنشاء جامعة لاسلكية ***Wireless University*** لكن الظروف لم تكن مواتية لتقبل الفكرة وتنفيذها . وفى عام ١٩٢٧ أنشأت الهيئة قسم لتعليم الكبار ، وتبع ذلك إنشاء لجنة للبحث فى هذا المجال برئاسة سير "هنرى هادو" ***Henry Hadow*** بالاشتراك مع المعهد البريطانى لتعليم الكبار ، وقد أوصت اللجنة بإنشاء محطة إذاعية مستقلة للأغراض التعليمية ، لكن هذه الفكرة لم تر النور .

---

[1] انظر :

- أحمد إسماعيل حجى ، مرجع سابق ، ١٠٩ –١١٤ .
- عبد الرحمن بن محمد أبو عمة ، ***التعليم العالى فى بريطانيا*** ، (المملكة العربية السعودية الرياض : مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ٢٠٠٠) ، ١١٩- ١٣١.
- عبد العزيز بن عبد الله السنبل ، "مبررات الأخذ بنظام التعليم عن بعد في الوطن العربى" **. *مجلة التربية*** . اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . قطر، سبتمبر ١٣٧.(٢٠٠١) : ٨٤-٨٥.

ومع اختراع "التليفزيون" تجددت الدعوات لاستخدام البث التعليمى فى ميدان تعليم الكبار ، وكان من رواد استخدام التليفزيون فى ميدان التعليم العالى "ويليامز" ***Williams*** الذى وضع خطة لبرنامج تعليمى متكامل متعدد الوسائط للتعليم بالمراسلة ، وقد ساعده فى ذلك تخصصه كرئيس لقسم الالكترونيات والاتصالات بمعهد الهندسة الالكترونية ، وناقش فكرة "الجامعة التليفونية" ***Teleuniversity*** ، أو "الجامعة عن بعد" ، والتى تربط بين المحاضرات المذاعة مع التعليم بالمراسلة و اللقاءات مع المعلمين بالجامعات التقليدية ، كذلك أشار إلى استخدام مفهوم الوسائط المتعددة فى التعليم [١] .

" أما فى عام ١٩٦٢ كتب " ميخائيل يونج " ***Michael Young*** بحث عن النمو المحتمل فى التعليم العالى فى السبعينيات ، وكان من بين مقترحاته إنشاء "جامعة مفتوحة" تعد الدراسين للحصول على درجات جامعية تمنحها "جامعة لندن" ، وقد لفت "يونج" الانظار إلى الاستخدام المتزايد للبث التعليمى فى الولايات المتحدة والتعليم بالمراسلة فى الاتحاد السوفيتى ، ودعا لإنشاء "كلية قومية للتعليم المفتوح" ، وقد لاقى اقتراحه قبولاً وأسست هذه الكلية فى " كامبردج " عام ١٩٦٣ م ، وبدأت "هيئة الإذاعة والتليفزيون البريطانية" ووزارة التعليم مناقشة فكرة " كلية الهواء " ولعل تاريخ فكرة الجامعة المفتوحة يعود إلى "مايكل ينج" ***M.Young*** ودعوته لإنشاء "جامعة مفتوحة" لإعداد الطلبة من الخارج لدرجات علمية في جامعة لندن " [٢] .

وفى مارس ١٩٦٣ بدأ حزب العمال بتشكيل مجموعة برئاسة لورد " تايلور " ***Taylor*** والتى قدمت تقرير حول استبعاد المجموعات الدنيا من المجتمع وذات الدخل المنخفض من التعليم العالى البريطانى واقترحت المجموعة فكرة جامعة الهواء ، و تقديمها من خلال هيئة الإذاعة والتليفزيون البريطانية. [٣]

وتبنت حكومة "حزب العمال" برئاسة "هارولد ويلسون" عام ١٩٦٣م التوسع التدريجى فى التعليم العالى البريطانى ، ودعا فى إطار حملته الانتخابية إلى تقديم برامج تعليمية بالمراسلة على المستوى القومى فى صورة (جامعة الهواء) أو (جامعة الفضاء) ***University of The Air***، وكانت فكرته تركز حول تطبيق صيغة تعليمية جديدة ، واقترح فى إطارها انضمام عدة مؤسسات ومنظمات فى إنتاج برامج تليفزيونية ومواد تعليمية وليس مؤسسة ذاتية ومستقلة تمنح درجات خاصة ، وكانت دعوته تلك في خطاب له بمدينة جلاسجو الاسكتلندية عام ١٩٦٣ ، وقد جاءت تلك الدعوة اتساقاً مع هجوم "حزب العمال" العنيف على تقسيم التعليم الثانوى إلى نوعيات ودعوته لإنشاء المدرسة الثانوية الشاملة ، و كذلك حملته من أجل إتاحة فرص التعليم الجامعي أمام من لم يتمكنوا من الالتحاق به ،

---

(1) The Open University , ***History of The Open University*** , (London : OU , 2005) ,1.

(2) عبد الرحمن بن محمد أبو عمة : مرجع سابق ، ١٢٣-١٢٤.

(3) The Open University , ***History of The Open University*** , Op. Cit., 1.

ومعظمهم من العمال ، ومن ثم كانت دعوة زعمائه لإنشاء جامعة الهواء التي تطورت فيما بعد إلى الجامعة المفتوحة .

وبتولى "هارولد ويلسون" رئاسة الوزراء قام بمقابلة وزيرة الآداب فى الحكومة "جينى لى" ***Jennie Lee*** ، وتم الاتفاق على البدء فى تنفيذ جامعة الهواء . وقد رأت "جينى لى" أن فكرة هارولد ويلسون من خلال دراستها لتجارب جامعة شيكاغو وموسكو ، أنه لكى تنجح فى تطبيقها فيجب أن تنشأ كجامعة مستقلة خصوصاً فى ضوء النقد والمعارضة الشديدة الذى لاقته الدعوة لها . " فظهور التعليم المفتوح في بريطانيا كان بشكل متدرج في التطور، وكان في معظم أنشطته يمثل خروجاً على النظم التقليدية التي كانت سبباً في تدنى مستوى التعليم على حد وصف اللورد "برى" أول رئيس للجامعة البريطانية المفتوحة ". [1] ، " فالجامعات الإنجليزية التقليدية لم تأخذ على عاتقها هذا النمط من التعليم ، ومن ثم رفضته ، وكان مبررها في ذلك هو الرغبة في أن تقدم مستوى عال من العلم والمعرفة والبحث والذى لا يتحقق فى ذلك النمط من التعليم – من وجهة نظرها - ، ومن هنا استقر الرأى على إقامة مؤسسة خاصة به بعيداً عن الجامعات الأخرى تتمتع بالاستقلال الكامل ". [2]

وبعد عدة أعوام من دعوة "ويلسون" وتحديداً سنة ١٩٦٧ تكونت لجنة برياسة سير" بيتر فينابلز" ***Peter Venables*** ، وصدر بعد ذلك قانون إنشاء الجامعة المفتوحة كمؤسسة مستقلة لها الحق فى منح درجات علمية . وقد تأسست بموجب القرار الملكى الجامعة البريطانية المفتوحة عام ١٩٦٩ م ، ومن ثم بدأ التحاق الطلاب بها لأول مرة سنة ١٩٧٠م ، وبدأت الدراسة بها عملياً سنة ١٩٧١ حيث ارتفع عددهم في السنوات الثلاثة اللاحقة إلى ما يزيد عن ٤٠ ألف طالب . والجامعة لا تتبع أي جامعة أخرى في نظامها ، ولديها صلاحيات منح الدرجات العلمية ، وكغيرها من الجامعات البريطانية ، يديرها مجلس تنفيذى ، ومجلس أمناء ، فالمجلس التنفيذى يشرف على العمليات الإدارية البحتة ، بينما يتولى مجلس الأمناء رسم السياسة الأكاديمية ، وللجامعة رئيس ومدير ونائب رئيس ، ومدير شئون مالية وثلاثة مساعدين للرئيس، وسكرتير عام ، وتمولها الحكومة بنسبة ٨٥% بينما تغطى اشتراكات الطلاب النسبة الباقية [3].

وتعد الجامعة المفتوحة في بريطانيا – حالياً- أكبر جامعة بريطانية ، ومن الجامعات الكبرى في العالم من حيث عدد الطلاب الدارسين فيها ، وهى من أكثر الجامعات استخداماً للتقنية ووسائل الاتصال الحديثة كالإذاعة والتليفزيون ، والفاكس ، والبريد الالكترونى ، وأشرطة الفيديو ، وغيرها

---

[1] محمد شحات الخطيب ، " التعليم المفتوح " ، ***المجلة العربية للتربية*** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مارس ، ١(١٩٨٩) : ٩٧ .

[2] عبد العزيز الخويطر وآخرون ، " التعليم في بريطانيا ، ***مجلة المعرفة*** ، وزارة المعارف ، السعودية ، مايو، ٧١ (٢٠٠١) :٣٠-٣٤.

[3] عبد العزيز بن عبد الله السنبل ، مرجع سابق ، ٨٤ .

من وسائل التقنية الحديثة . ولقد شكلت نموذجاً للتعليم المفتوح أخذت به العديد من الدول في الوقت الحالي .

وقد أدى النجاح الذى حققته الجامعة المفتوحة فى بريطانيا إلى انتشار سريع للجامعات المفتوحة فى مختلف دول العالم النامية والمتقدمة ، والتى ظهرت على النحو التالى : " أسبانيا عام ١٩٧٢ ، إيران عام ١٩٧٣ ، ألمانيا الغربية عام ١٩٧٤ ، باكستان عام ١٩٧٤ ، كندا عام ١٩٧٥، الصين عام ١٩٧٨ ، الهند عام ١٩٨٢ ، اليابان عام ١٩٨٥ وغيرها " . [١]

"و في الولايات المتحدة الأمريكية بدأت ظاهرة التعليم المفتوح أواخر الستينيات من القرن العشرين ، وذلك عقب انطلاق أول قمر صناعى سوفيتى ، حيث تصاعدت الانتقادات حول فعالية التعليم الأمريكى وقدرته على تخريج علماء متخصصين ، ونداءات الإصلاح التي تعالت في الولايات المتحدة ، وإنجلترا ، ألمانيا ، والتي طالبت بدور جديد للعلاقات بين المعلم والتلاميذ والمنهج يختلف عن دور علاقات التعليم التقليدى ، وإعطاء المزيد من الحرية والانطلاق للفرد وذلك من خلال مشاركته بنصيب أكبر في اختيار تعليمه" . [٢] و تبنت الجامعات التقليدية الأمريكية التعليم المفتوح ، وأطلقت عليه اسم الدراسات الجامعية الممتدة ، وهذا ما عبر عنه " تشارلس فان هايز" ***Charles Van-Hayes*** رئيس جامعة ويسكونس عام ١٩٧٥ في الاجتماع السنوى للاتحاد القومى للدراسات الاجتماعية الممتدة بالولايات المتحدة الأمريكية بقوله : " أن تتولى الجامعة بوصفها أداة مناسبة مشاكل توصيل المعرفة سواء طلبها الناس أم لم يطلبوها ، وعدم الانتظار حتى تأتى الناس إليها ، وإنما نعتزم أن نحمل بضاعتنا إليهم " [٣] . وفى الوقت الراهن حدث توسع وانتشار فى صيغ التعليم المفتوح و التعلم عن بعد فى الولايات الأمريكية ودول العالم المختلفة .

فلسفة وأهداف التعليم الجامعي المفتوح :

يقوم أى نظام تعليمى على مجموعة من الموجهات والتى تكون إطاراً فلسفياً لهذا النظام ، هذا الإطار هو المسئول عن تحديد إجراءات هذا النظام التعليمى وسلوكيات التعامل فيه . " وتتمثل الفلسفة الأساسية للتعليم المفتوح فى الحرية المتاحة للمتعلم ، و الحرية فى اختيار وقت التعليم ، ونوعيته ، وأسلوبه ، والحرية الكاملة فى التوقف ، أو الخروج ، أو العودة مرة أخرى " . [٤]

---

[1] سهير محمد حوالة وآخرون ، ***التقرير النهائى لمشروع نظم وبرامج التعليم المفتوح والتعلم عن بعد : دراسة تقويمية فى ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة*** ، مرجع سابق ، ٨٦.

[2] محمد قدرى لطفي ، ***دراسات في نظم التعليم في التربية المقارنة*** ، (القاهرة : دار مصر للطباعة ، بدون تاريخ)، ٥٢-٥٥ .

[3] محمد محمد الهادى، ***التعليم الالكترونى عبر شبكة الإنترنت***،(القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٥) ، ١٧-٢٢.

[4] عزة ياقوت عز العرب ، " الكفاءة التعليمية بمركز التعليم المفتوح بجامعة القاهرة " ، **(رسالة ماجستير غير منشورة** ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٠) ، ٤٩ .

" ففلسفة التعليم المفتوح تقوم على مجموعة من الأسس والمبادئ ، منها المرونة ، و إتاحة فرص الالتحاق ، وتحقيق المساواة فى التعليم ، و محاولة المؤسسات التعليمية توفير مجموعة متنوعة من الطرق لإتاحة الالتحاق بفرص تعلم جيدة لمدى واسع من المتعلمين، وفى هذا السياق يتاح للمتعلم أن يتعلم ما يريده و بالطريقة التى يريد أن يتعلم بها ، ومتى وأين يريد أن يتعلم وما سيفعله لاحقاً فى توجهه المهنى " . [١] وذلك من منطلق أنه " بمعنى أن جميع الأفراد يجب أن لا يتعلموا بنفس الشىء أو بنفس السرعة وبنفس الطريقة ، ولكن الأجدى أن الفرد الذى يريد أن يتعلم يمكنه أن يتعلم الأشياء التى يحس بأنها ذات قيمة ومعنى بالنسبة له ، وفى الوقت الذى يناسبه وبالوسيلة التى يشعر أنها يمكن أن تثرى تعلمه ". [٢]

كذلك تنطلق فلسفته من قناعة أساسية فحواها أن التعليم حق لكل الناس على اختلاف إمكاناتهم وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، و محاولة تحقيق مفهوم ديمقراطية التربية والتعليم ، وبأكبر درجة عدل ممكنة عدل بين أفراد المجتمع الواحد ، وذلك من خلال التوسع فى أعداد المقبولين فى التعليم الجامعي وتلبية مطالب الفئات المحرومة من التعليم الجامعي ومواجهة النقص فى فرص التعليم بأسلوب غير تقليدى . ومن ثم فالتعليم المفتوح يربط بين عدة مبادئ منها :

أ- **التمركز حول المتعلم *Learner Centredness*:** وذلك من خلال التركيز على المتعلم فى الممارسة التربوية ، وأن يلعب دور نشط فى اتخاذ القرار المتعلق بتعلمه . وتشجيع استقلالية المتعلم ، وتنمية التفكير الناقد ، وتوظيف المهارات التحليلية والكفايات الأخرى لدى المتعلم .

ب- **التعلم الذاتى *Autonomus Learning*** : " فمنهجية التعليم المفتوح تشجع التعلم باعتباره وسيلة وليس غاية فى حد ذاته ، ومن هنا فالتركيز على التعلم الذات وتشجيع استقلالية المتعلم ، فقد لاحظت "سيلفيا شارب" ***Sylvia Charp*** أنه كلما زادت استقلالية المتعلم مثل قدرته على الاستماع النشط والقدرة على العمل باستقلالية فى غياب المعلم كلما زاد احتمال نجاح المتعلم " [٣] .

---

[1] Working Group on Distance Education and Open Learning (WGDOEL) , ***Distance Education and Open Learning on Sub-Saharan Africa : A Literature Survey on Policy and Practice*** ,(Association for the Development of Education in Africa , 2002) , 19 .

[2] وفاء مجيد محمد الملاحى ،"الطلب الاجتماعى على التعليم الجامعي المفتوح فى مصر فى ضوء المتغيرات المحلية والعالمية المعاصرة " ، (***رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية بدمياط*** ، جامعة المنصورة ، ٢٠٠٦)، ١١٤.

[3] Charp , S. , "Viewpoint : The Online Chronicle of Distance Education and Communication" , In . Lorraine Sherry , ***Issues in Distance Education***, http://www.aace.org, (accessed , Febrauary 20 , 2001) , 10 .

ج- **التعلم مدى الحياة *Lifelong Education* :** فالتأكيد هنا على أن التعليم مستمر ، ويرتبط بالممارسة الدائمة ، والحاجات المتغيرة وخبرات المتعلمين ، فالتعليم عملية لا تنطوى فى حياتنا ، ولا تتوقف عند مرحلة الطفولة فقط .

د- الاعتراف بخبرات ومهارات المتعلمين السابقة [1] .

وعموماً يعمل التعليم الجامعي المفتوح على تحقيق الأهداف التالية :

١- تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية وتطبيقاته في أنواع التعليم ومستوياته المختلفة ، بما يتيحه للمحرومين من التعليم من فرص الانخراط فيه .

٢- إسهام التعليم في التنمية من خلال فتح مجالات وتخصصات جديدة لم يستطع التعليم التقليدى إتاحتها للدارسين .

٣- التركيز على التعلم الذاتى والمستقل ، واستبداله بالتعليم التلقينى المعتمد على الحفظ والاستظهار ، وتحقيق إيجابية المتعلم في العملية التعليمية والتوجه الذاتى .

٤- الإفادة من التطورات الحديثة في مجالات التكنولوجيا وخاصة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، والوسائل الحديثة المرتبطة بها بما يحقق إثراء عملية التعلم وتحسين كفاءتها وفاعلية المتعلم فيما يتعلمه .

٥- الإسهام في دعم التوجه نحو التربية المستمرة مدى الحياة بشكل يتمشى مع الانفجار المعرفي وثورة المعلومات والثورة التكنولوجية .

٦- تغيير البنية الاجتماعية والأطر والأنساق الثقافية للمجتمع بإتاحة الفرصة أمام بعض أفراد المجتمع للتعليم ، والذين تحول ظروفهن المختلفة دون التحاقهن بالتعليم التقليدى .

٧- إتاحة فرص الحراك الاجتماعي و الحراك المهني لمن يرغبون في الحصول على درجات جامعية أعلى من مؤهلاتهم الأصلية .

٨- إتاحة الفرصة للأفراد لتغيير تخصصاتهم ، والالتحاق بالتخصصات التي يرغبونها ويميلون إليها .

٩- تقليل الضغط على التعليم التقليدى ، والأماكن في الجامعات التقليدية ، ولعل هذا أحد الأهداف الأساسية التي نشأ من أجلها التعليم المفتوح ، وجعل الدول توليه الاهتمام الكبير باعتباره أحد الحلول المطروحة لتخفيف الضغوط على الجامعات التقليدية .

خصائص التعليم الجامعي المفتوح :

نظراً لأن التعليم المفتوح يخاطب فئات معينة من الدارسين الراغبين في استكمال تعليمهم الجامعي ، ويتعامل بوسائل وتقنيات وبرامج دراسية معينة لذا يتميز بعدة خصائص لعل من أهمها :

---

[1] Charp , S. , Viewpoint . The Online Chronicle of Distance Education and Communication , Op. Cit., 20- 21.

obeikandl.com

- القدرة على اكتشاف أهداف المتعلم وقدراته وتحليلها وتفسيرها سواء عند بداية التحاقه أو في أثناء الدراسة ، وربط ذلك بالبرامج التعليمية .
- القدرة على تمكين المتعلم من المشاركة في برنامج التعليم والتدريس دون فرض متطلبات تقليدية للالتحاق .
- الاستعداد لتكوين أهداف التعليم بطريقة تجعلها تخدم كأساس لاتخاذ القرارات في تصميم التدريس وتقويم التعلم وبطريقة تجعل المتعلم مشاركاً إيجابياً .
- القدرة على استيعاب أعداد متزايدة من المتعلمين دون زيادة كبيرة في كلفة التعليم .
- إمكان استخدام طرق تدريسية ووسائط تعليمية متنوعة .
- إمكان استخدام التقويم والاختبارات كأدوات تشخيصية لتحليل مدى تحقق أهداف التعلم .
- القدرة على إيجاد علاقات غير مباشرة بين هيئة التدريس والمصادر والمتعلم .
- قبول المتعلم وبيئته كبيئة للتعلم، والتركيز على إثراء هذه البيئة .
- القدرة على التعاون الفعال مع المصادر المحلية والموجودة في بيئة المتعلم بما يسهم في إثراء المتعلم وبيئته وفي تنمية اعتماد المتعلم على مصادر متعددة .

مزايا التعليم المفتوح :

إن التعليم المفتوح بالنسبة للمتعلم يعنى المزيد من الحرية فى الالتحاق بالتعليم ، وتوفير مدى واسع من فرص التعليم والتأهيل من خلال تغلبه على العديد من العوائق والتى تشمل ليس فقط البعد المكانى ولكن أيضاً الظروف الأخرى مثل العوائق الأسرية والشخصية للفرد ، و العوائق الثقافية والاجتماعية ، وكذا نقص البني التحتية التعليمية من مؤسسات ومبانى وأجهزة . و تقديم بديل أرخص للدراسة ، وتوصيل التعليم للأفراد وهم فى أماكن عملهم . و استخدام المدخل المتمركز حول المتعلم فى التعليم ، مع مرونته و الحرية فى اختيار المحتوى والمقررات وكذلك برامج ومؤسسات الدراسة. أما بالنسبة للموظفين والعاملين فإن التعليم المفتوح يقدم إمكانية تنظيم التنمية المهنية والتعليم فى مكان العمل نفسه ، وهذا يوفر نفقات السفر والدراسة ويجعل الدراسة أكثر مرونة .

ويدلل على ما سبق الدراسات والبحوث التى أجريت على التعليم المفتوح ، ومنها دراسة " نيو جاين" و" ليز هامبليونز "***Niu Giene & Liz Hamp-Lyons***(٢٠٠٣) فى تحليلهما التاريخى لعدد تسع دراسات تناولت خصائص طلاب التعليم المفتوح ، وكان من نتائج ذلك التحليل ما يلى :

١- إن المتعلمين غالبيتهم من النساء ، ومن كل الأعمار وغالبية المتعلمين من كبار السن أكبر من خمس عشرة عاماً .

٢- إن التحاق الطلاب من مختلف المجموعات العرقية والاثنية ، فهناك دلائل على أن التعليم المفتوح يوفر طرق مختلفة لاستيعاب الطلاب من الطبقات الفقيرة والدنيا فى المجتمع ، بل تعتبر برامج التعليم المفتوح هى طريقهم للحراك الاجتماعى لأعلى .

٣- أعداد الطلاب المعاقين وذوى الاحتياجات الخاصة فى تزايد مستمر.

٤- التعليم المفتوح أكثر قدرة على اجتذاب الطلاب ممن يعيشون فى مناطق نائية أو منعزلة .[١]

بينما يشير "هويت" ***W.Huitt*** (٢٠٠٥) إلى أن التعليم المفتوح يتميز بالآتى "

- " إتاحة فرصة التعلم للفرد متى شاء .
- تتيح للفرد التعلم طبقاً لأهداف واقعية وطبقاً لرغباته .
- مشاركة الطالب إيجابية في التعلم ، وهذا ينمى المهارات الاجتماعية للفرد لديه .
- يلعب المعلم دور " الميسر " ***Facilitator*** ويصبح المعلم نموذج يتعلم منه الطالب .

و أشارت الدراسة كذلك إلى أن التعليم المفتوح يؤكد على احترام مفهوم الذات لدى الطالب ، ويوفر الأساس اللازم للنمو المهنى ، بما يجعل التعليم مستمراً خلال الحياة بأسلوب توجيه الذات .[٢]

وتشير اليونسكو إلى أنه فى ضوء خبرات العشرين سنة الماضية ، " فإن مزايا التعليم المفتوح تشمل :

١- توفير تدريب سريع و فعال للمجموعات المستهدفة (مثل استخدام التدريب من بعد فى تدريب المعلمين) .

٢- ربط التعليم بالعمل وحياة الأسرة للمتعلمين ، فالتعليم يصل للمتعلم وهو فى مكان عمله أو منزله .

٣- تحسين جودة الخدمات التعليمية الحالية ، من خلال إثراء العملية التعليمية وذلك باستخدام الوسائط التعليمية و تفريد التعليم ، والمرونة التى تتيحها تلك الوسائط .

٤- توفير حملات تعليمية مخصصة للمجموعات الكبيرة من المتعلمين .

٥- توسيع القدرة الاستيعابية للتربية لأعداد المتعلمين فى التخصصات المتعددة والجديدة .

٦- إتاحة فرص متزايدة لتحديث ، وإعادة التدريب والإثراء الذاتى .

٧- تقليل التكلفة وزيادة الفعالية للموارد التعليمية المستخدمة .[٣]

وتلخص " اليونسكو" (٢٠٠٢) " فوائد التعليم المفتوح بالنسبة للأفراد و الحكومات فى :

أ- بالنسبة للطالب/ المتعلم فإن التعليم المفتوح يزيد من درجات القبول والمرونة ، وكذلك يعمل على ربط التربية باحتياجات سوق العمل ، والتركيز بدرجة كبيرة على المتعلم ، واستخدام

---

(1) Niu Giene & Liz Hamp-Lyons , " Distance in Higher Education – A Historical Literature Review", ***Global E-Journal of Open , Flexible & Distance Education***, Volume3 , http://www.ignou.in/e-journal/ejournal.html , (accessed , April 20 , 2005) , 4.

(2) Huitt, W., ***Humanism and open education.***. Valdosta, GA: Valdosta State University. http://chiron.valdosta.edu/whuitt/col/affsys/humed.html (accessed Mars 20, 2005).

(3) Ibid , pp. 19-22.

obeikandl.com

التكنولوجيا بما يثرى العملية التعليمية ، والوصول لطرق جديدة للتفاعل والتدريس . وبالنسبة للمتعلمين من الموظفين وأصحاب الأعمال : فإنها تقدم لهم فرص تعليمية ذات جودة عالية، وفرص للتنمية المهنية الفعالة فى أماكن العمل ، وتسمح بتطوير المهارات ، وزيادة الإنتاجية وتطوير ثقافات جديدة للتعلم .

ب- بالنسبة للحكومات والدول : فإنه يزيد من السعة وكفاءة الإنفاق على التعليم وأنظمة التدريب ، وبلوغ الجماعات المستهدفة ، وزيادة فرص الالتحاق بالتعليم ، ودعم الجودة والتأكيد على ربط المؤسسات التعليمية الحالية بشبكات الاتصال وموارد المعلومات ، وتنمية فرص التعليم مدى الحياة . [١]

ومما سبق يمكن القول أن مزايا التعليم المفتوح تتلخص فى :

- " التغلب على العوائق المختلفة من مكانية وزمانية وأكاديمية والتي تحرم الكثيرين من الذين تمنعهم ظروفهم من استكمال تعليمهم حيث يمكن المتعلم أن يتعلم بالوسيلة التي يرغبها وفي الزمان والمكان والتخصص الذي يرغبه وفي حدود إمكانياته وقدراته ، وبالتالى تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.
- إتاحة الفرصة للكثيرين من تغيير تخصصاتهم أو الالتحاق بتخصصات يرغبونها وتتفق مع ميولهم ورغباتهم". [٢]
- توفير المزيد من المقاعد للدراسة في الجامعة ، وتخفيف الضغوط على الجامعات التقليدية .
- إمكان استخدام وسائل وطرق تدريس متنوعة دون الاقتصار على طريقة معينة قد لا تتلائم مع فئات معينة من المتعلمين .
- احترام حرية الفرد وتشجيع إيجابيته في عملية التعلم فالمتعلم في هذا النوع من التعليم إيجابى فهو الذي يلتحق برغبته بالتعليم المفتوح .
- الاستفادة من الوسائط التكنولوجية الحديثة وتوظيفها في إتاحة فرص التعليم للمتعلمين .
- تشجيع التعاون بين المتعلمين داخل وخارج الجامعة كأساس للتفاعل بين المتعلمين .
- " الاستفادة على الوجه الأمثل بأعضاء هيئة التدريس المتوفرين : وخصوصاً فى حالة قلتهم ، أو بعدهم المكانى " . [٣]
- " القدرة على التغلب على الحواجز الثقافية والسياسية ؛ بمعنى أنه مثلاً لديه القدرة على إتاحة الفرص للمرأة للتعلم فى بعض المجتمعات التى تتحفظ على خروج المرأة من المنزل للتعليم مثلاً " . [١]

---

(1) UNESCO , Op. Cit.,7.
(2) Janet Grenzky , "Focus on Distance Education" , ***Update*** , Volume 7 , Washington , D.c., NEA organization , http://www.nea.org , (Accessed March, 20, 2001) ,1.
(3) Comonwealth of Learning , Op. Cit., 7.
(1) Op.Cit.,8.

- " يعتبر نظام التعليم المفتوح أقل تكلفة من نظم التعليم الأخرى ، فهناك اقتصاد فى النفقات ، كما أن تكاليف التعليم المفتوح تختلف عن تكاليف التعليم التقليدى ، حيث أن التعليم المفتوح يتميز بشيوع ظاهرة اقتصاديات الحجم الكبير ، ومن ثم فإن التكلفة المتوسطة الخاصة بتعليم الطالب تأخذ فى الانخفاض كلما زاد عدد الطلاب المسجلين وذلك توزيع عبء التكلفة الثابتة (تكاليف تصميم وإعداد وتسجيل المادة العلمية) على عدد أكبر من الطلاب فأنظمة التعليم المفتوح أكثر كفاءة بالنسبة للاعداد الكبيرة من الطلاب عكس أنظمة التعليم التقليدية ، فمعدل التكلفة السنوى للدارس فى الجامعة المفتوحة لا تتعدى تكلفة زميله فى الجامعات التقليدية " . [٢]

الانتقادات الموجهة إلى التعليم المفتوح :

إن التعليم المفتوح كصيغة ليس بديلاً عن التعليم الجامعي التقليدى ، بمعنى أنه سيحل التعليم المفتوح بالكلية محل التعليم الجامعي ، وإنما هو صيغة متممة للتعليم الجامعي التقليدى ، ومخصصة لفئات عديدة من المجتمع سواء ممن حرموا من فرصة الالتحاق بالتعليم الجامعي التقليدى لظرف أو لآخر ، أو ممن يرغبون فى تنمية معارفهم المهنية، أو ممن يرغبون فى تغيير تخصصاتهم .

ورغم ما يحيط صيغ التعليم المفتوح من اهتمام عالمى ودولى متصاعد وانتشار لبرامجه ، إلا إنه يواجه العديد من المشكلات ، و التى تزداد حدة في البلدان النامية ؛ فالتعليم المفتوح ما هو إلا أحد عناصر منظومة تعليم متكاملة ، وهكذا يجب أن ينظر إليه .

ويدلل معارضى التعليم المفتوح على عدم جدواه بالآتى :

١- " التعليم المفتوح قد يفتقد المناقشات الجماعية والحوار المباشر الذى يثرى العملية التعليمية ويصبغها بالحيوية والنشاط " [٣] ، " وقلة فرص الحوار والاتصال الإنسانى فيه ***Lack of Human Contact*** ، كما أشارت لذلك العديد من الدراسات ومنها دراسة "طونى كاى" و"جريفل رامبل"***Tony Kaye and Greville Rumble*** (١٩٩١) " [٣] ، " و دراسة أجرتها مؤسسة ***NEA*** الأمريكية فى استطلاع رأى لعدد ١٢ من أعضاء هيئة التدريس فى التعليم العالى فى واشنطون خلال فصلين دراسيين سنة ٢٠٠٠ حول سلبيات وإيجابيات التعليم المفتوح من وجهة نظرهم " [١].

---

[٢] وفاء مجيد محمد الملاحى ، " الطلب الاجتماعى على التعليم الجامعي المفتوح فى مصر فى ضوء المتغيرات المحلية والعالمية المعاصرة" ، ***مرجع سابق*** ، ١٤١.

[٣] عادل الجندى وآخرون ، مرجع سابق ، ٧٢.

[3] Tony Kaye , Greville Rumble , Op., Cit., 1991. 22.

[1] Janet Grenzky , "Focus on Distance Education" , ***Op. Cit.*** 1

openkanar.com

٢- " تعاني برامج التعليم المفتوح من معدلات انقطاع أعلى من التعليم التقليدي. وهذا أمر متوقع في ضوء ظروف غالبية الملتحقين بتلك البرامج ، والتي أدت لحرمانهم من التعليم التقليدي بداية " [٢].

٣- التعليم المفتوح يمكن أن يقع في نفس مشاكل التحصيل في التعليم التقليدي، خاصة ثلاثية "التلقين-الاستظهار-الإرجاع". بل يمكن أن يعاني منها أكثر من التعليم التقليدي بسبب توسط المعدات الجامدة بين المعلم والمتعلم ؛ ولذلك يجب أن يكون ضمان النوعية الراقية محوراً أساسياً في التخطيط لبرامج التعليم المفتوح .

٤- المعروف أن آثار التعليم المفتوح أكثر تشتتا من التعليم التقليدي، ومن ثم أصعب في التقييم. كما أن تطوير المواد التعليمية المشوقة والفعالة في التعليم المفتوح أمر صعب ومركب- ويحتاج إلى فرق متكاملة تضم تربويين وخبراء في المناهج و المواد التكنولوجية ووسائط الاتصال المستخدمة، وفنيين وغيرهم. ويجب أن يقوم إنتاج المواد التعليمية على تبني نموذج "البحث-التطوير-التقييم-المراجعة" باستمرار.

٥- "التكلفة المرتفعة لإنتاج وتعديل وتحديث مواد التعليم المفتوح ، المطبوعة والسمعية والبصرية ، والمنتجة بكميات كبيرة وللتدليل على التكلفة العالية على سبيل المثال ففى الولايات المتحدة ، تقدر تكلفة إنتاج الدقيقة الواحدة من برامج التلفزيون التعليمية الجيدة تبلغ حول ثلاثة آلاف دولار". [٣] ولذلك كثير ما يتم التأكيد على أن الاستفادة من التعليم المفتوح يجب أن تكون من الاتساع والعمق بحيث تحقق توازناً معقولاً بين التكلفة والعائد.

٦- خطر أن يقع إعداد برامج التعليم المفتوح في أيدي "الفنيين"- نتيجة لقلة معرفة التربويين بالتكنولوجيا الحديثة، أو افتتانهم الشديد بها. و التركيز الزائد على التكنولوجيا والمعدات، بدلاً من الهدف الأصيل وهو الاحتياجات التعليمية للمتعلمين. فالتعرف على هذه الاحتياجات، وكيفية تلبيتها، يجب أن يسبق اختيار التكنولوجيا وتحديد التوظيف الأفضل لها لتحقيق الغاية التعليمية. ويستلزم ذلك، أن يعاد توجيه برامج تكوين التربويين الجامعية وأثناء الخدمة ، لتتضمن تعريفاً بالتعليم المفتوح، نظرياً وعملياً.

٧- هناك شروط عديدة للاستخدام الفعال للمعدات الحديثة من أهمها التدريب الفعال والصيانة المستمرة. ويترتب على قلة توافر هذه الشروط تضاؤل استخدام المعدات الحديثة إلى جانب طفيف من إمكاناتها. وقد يصل الأمر لإهمال المعدات، وقلة الاستفادة من البرمجيات، تحت ظروف البيروقراطية والإهمال المتفشيين في الإدارة الحكومية في البلدان العربية.

---

[2] المرجع السابق .

[3] Tony Kaye , Greville Rumble , " Open Universities : A Comparative Approach" , 5.

obeikandl.com

٨- على السياق التنظيمي والإداري نجد التعليم المفتوح يحتاج نسق أعقد من التعليم التقليدي، ومن ثم يحتاج لأنظمة أكفأ وإدارة أرقي ، و مرونة القيادات التعليمية ؛ ويستلزم ذلك الاهتمام بالتوعية المكثفة بمضمون التعليم المفتوح، والتدريب على إدارة مكوناته العديدة ، والتنسيق بينها، خاصة في مستويات الإدارة التعليمية المختلفة قبل بدء البرامج.وتتضمن الأمور التي تحتاج عناية خاصة في مضمار التنظيم والإدارة، تقييم المتعلمين، وتقييم المعلمين، والترخيص للمعلمين وتجديده، وتدريبهم.

٩- الاعتراف المجتمعى بالتعليم المفتوح : ولعل هذه نقطة مميزة لمجتمعاتنا العربية ، فالتعليم المفتوح يعانى من انخفاض المكانة الاجتماعية، حيث يُعد تعليما "من الدرجة الثانية"، يرتاده فقط من لم يقدر، أكاديمياً أو مالياً ، على "امتلاك" أشكال التعليم التقليدي. وبالتالى فإن علاج تلك المشكلة هو ضمان النوعية المتميزة في برامج التعليم المفتوح، والسبيل الأساسي لذلك هو تطبيق نظم الاعتماد الأكاديمي ببرامج التعليم المفتوح بدقة.

إن الاستغلال الناجح للتعليم المفتوح خاصة باستعمال تكنولوجيا التفاعل الإلكترونية ، يقتضي ثورة حقيقية في التعليم ككل. فكل المكونات التي سبق الإشارة إليها يتعين أن يتكامل في منظومة متناغمة داخليا، ويتكامل - في تناغم أيضاً- مع نسق التعليم التقليدي القائم، الأمر الذي يوجب ضرورة التجريب واكتساب الخبرة التراكمية من خلال التقييم الرصين والتطوير المستمر.

مبررات التوسع في التعليم الجامعي المفتوح عالمياً ومحلياً:

لما كان الأخذ بالصيغ المستحدثة ومنها التعليم الجامعي المفتوح قد أصبح ضرورة ملحة في عالمنا المعاصر نتيجة العديد من العوامل كما ذكرنا سابقاً ؛ لذلك لم يكن غريباً أن يحدث نوع من التكامل بين التعليم الجامعي التقليدى و التعليم الجامعي المفتوح رغم الاختلاف بينهما فى العديد من الجوانب و الأسس ، وتشير دراسة "كيث هارى" ***Keith Harry*** و"هيلارى بيراتون" ***Hillary Perraton*** (٢٠٠١) إلى أن "العوامل التى ساهمت فى التكامل بين كل من التعليم المفتوح والتعلم عن بعد من ناحية والتعليم الجامعي التقليدى تتلخص فيما يلى:

١- الحاجة لمؤسسات تعليمية تقدم كلا النوعين .

٢- التكنولوجيا وما قدمته من فرص للتكامل بين صيغ التعليم الجامعي المختلفة .

٣- الحاجة لتلبية الطلب الاجتماعى المتزايد على التعليم الجامعي والعالى" . [1]

ويضيف محمد عبد الحليم طنطاوى (٢٠٠١) بأن " هناك حاجة للبحث عن أنماط جديدة للتعليم الجامعي مثل التعليم الجامعي المفتوح بما يساعد ويدعم التعليم الجامعي التقليدى وذلك بسبب :

---

[1] Paul Steyn , ***Book Review – Higher Education Through Open and Distance Learning,*** Athabasca University , http://www.irrodle.org , (Accessed ,Marsh20 , 2001), .1

١- تزايد أعداد الطلبة الراغبين في التعليم العالي .

٢- جمود النظام التعليمي القائم وعدم استجابته لبعض الحاجات الفردية والمجتمعية .

٣- اختلال التوازن في توزيع فرص التعليم العالي في الأقاليم الجغرافية المختلفة .

٤- ضعف برامج التعليم المستمر في أنظمة التعليم العالي

٥- محدودية الارتباط بين برامج التعليم العالي وحاجات الواقع " . [١]

ويصنف المنيع (٢٠٠١) المبررات وراء التحول إلى التعليم العالي المفتوح والتعلم عن بعد إلى نوعين من المبررات أو العوامل :

١. **"مبررات عالمية** :

ومنها التغير السريع في العلوم والتكنولوجيا والنمو الهائل في المعارف الإنسانية والحاجة لصيغ جديدة للتعليم مثل التعليم المفتوح بحيث يجدد الأفراد من خلالها معلوماتهم ومهاراتهم ويوسعون آفاقهم في المجالات المتصلة بعملهم على وجه خاص وبالحياة كلها على وجه العموم ، إضافة لزيادة الطلب على التعليم العالى والجامعي مع ارتفاع التكاليف وتناقص الإمكانيات. ويمكن للتعليم المفتوح أن يؤدي دوراً أساسياً في توسيع نطاق هذه الفرص وتحقيق إنجازات ثقافية أكبر لمواطني الدول العربية.

٢ .**مبررات محلية** :

فتزايد السكان في الدول العربية وتزايد الطلب الاجتماعي على التعليم بجميع مراحله، فأصبح التعليم ضرورة ملحة وذلك تلافياً للتورط في المشكلات الاجتماعية الناتجة عن عدم توفر التعليم كالبطالة مثلاً. هذا بالإضافة إلى الحاجة إلى تطوير أداء الموظفين على رأس العمل والحاجة كذلك إلى تأهيل الخريجين العاطلين عن العمل" . [٢]

وإجمالاً فإن هناك مجموعة من العوامل و القوى المعاصرة التى تزيد من الحاجة إلى التعليم الجامعي المفتوح و التوسع فيه ونشر تطبيقه سواء على المستوى العالمى أو المحلى ، وهذه العوامل ممثلة فى :

١- التحولات الاقتصادية عالمياً ومحلياً :

" فالتحولات في الاقتصاد العالمى وتحوله من اقتصاد الجمع والانتقال إلى الزراعة ، ثم التحول من الزراعة إلى الصناعة الخفيفة ، ثم الثقيلة ، ثم الانتقال بقوة نحو المعلومات ومجتمع المعلوماتية ، أو مجتمع ما بعد الصناعة ، كل ذلك صحبه تحول سريع في سوق العمل ، وهذه الأوضاع ذات الصبغة الاقتصادية لها تأثيرها على التعليم ؛ فلم تعد صيغ التعليم التقليدى بسلمه

---

[1] محمد عبد الحليم طنطاوى ، " مشروع الجامعة المصرية للتعليم من بعد -: التشخيص – ومتطلبات النجاح في ضوء بعض الخبرات المحلية والعالمية " ، ***مجلة تربية الزقازيق*** ، سبتمبر ، ٣٩ (٢٠٠١) :٢٦٩ .

[2] محمد المنيع ، " تطوير مؤسسات التعليم العالي الحكومية والأهلية في المملكة العربية السعودية باستخدام نظام التعليم المفتوح والتعلم عن بعد : الجامعة العربية المفتوحة كنموذج " ، (***ندوة التعليم العالي الأهلي في المملكة العربية السعودية*** ، الرياض، جامعة الملك سعود ، ٢٠٠١) .

المتدرج قادرة على تحقيق التناغم مع عصر مجتمع المعلومات لذا ظهرت صيغ جديدة مثل التعليم المفتوح وغيره على اعتبار أنها وسائل تحافظ على التفوق والامتياز ، وتساعد على دخول المجتمع في مجال المنافسة بين الدول وبعضها البعض ، كما ان الدول المتقدمة ومنها أمريكا وبريطانيا أصبحت تنظر إلى هذه الصيغ التعليمية على أنها وسيلتها في تنمية وتجديد قواها العاملة ". [١]

٢- الثورة المعرفية والتكنولوجية وما تفرضه من انعكاسات وتحديات على التربية عامةً ، والتعليم الجامعي المصري خاصةً :

يشهد العالم الآن ثورة تعليمية جديدة مع الثورة العلمية التي واكبت ما يُعرف "بعصر ما بعد الصناعة" ، ***Post Industrialism*** ، و"ما بعد الحداثة" ***Post Modernism*** ، والذي بدأ مع نظرية "أينشتين" في النسبية ، والثورة العلمية التكنولوجية في خمسينيات القرن الماضي ، التي سرعان ما تحولت منذ عقد الستينيات منه لما يُعرف بثورة المعلومات والاتصالات في التسعينيات من القرن الماضي ، تلك الثورة التي لا زلنا نشهد تجلياتها الثقافية والاقتصادية والسياسية على شكل زلزال عنيف هز ثوابت سابقة كثيرة ولا تزال توابعه متوالية الحدوث . فمن تحليل المشهد الثقافي العالمى الراهن "يمكن القول أن ما يطلق عليه الثورة الكونية للتعبير عن مجمل حركة الانقلاب في الأوضاع العالمية، ليست ثورة وحيدة البعد، ولكنها ثورة مثلثة الجوانب في الواقع. فهى أولا "**ثورة سياسية**" شملت النظم السياسية المعاصرة والعلاقات الدولية على السواء ويمكن تلخصيها في عبارة واحدة : في أنها تحول من الشمولية والتسلطية إلى الليبرالية، ومن صراع الفناء إلى إدارة البقاء، وهى ثانياً "**ثورة في القيم**"، وتحول من القيم المادية إلى القيم المعنوية، وهى ثالثاً "**ثورة معرفية**" تنطوى على الانتقال من الحداثة إلى عالم ما بعد الحداثة". [٢]

" وتعتبر الثورة التكنولوجية الثالثة "ثورة الإلكترونيات" هى الأساس المادى لتطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وما رافقها من تحولات في أنماط الإنتاج وأشكال التبادل وأنماط الاستهلاك. وقد جاءت "التكنولوجيا الرقمية" ***Digital Technology*** لتشكل أساس البث الالكترونى الحديث ، ولتصبح التكنولوجيا الطاغية مع قدوم القرن الواحد والعشرين ، مما جعل البعض يلقب العصر الذي بدأنا نعيشه بأنه " العصر الرقمى " ***The Digital Age*** ". [١]

---

[1] منال رشاد عبد الفتاح ، "التعليم المفتوح – أهم الاتجاهات العالمية المعاصرة " ، ***مجلة البحوث النفسية والتربوية***، كلية التربية جامعة المنوفية ، ١(٢٠٠٣) : ٥٠ .

[2] مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ***التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠٤***، http://www.ahram.org.eg/acpss/ , (accessed April 20 , 2004) ,4 .

[1] محمود عبد الفضيل ، ***مصر والعالم على أعتاب ألفية جديدة*** ، سلسلة الأعمال الفكرية ،(القاهرة : مكتبة الأسرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠١) ، ٩.

" إن النظم التعليمية تتعرض الآن لمتطلبات جديدة من حيث الكم ، ومن حيث الكيف ، ولا تستطيع بنى التعليم التقليدية أن تلبى الطلب المتزايد على التعليم ، وهناك تنوع كبير في فردية الطلب على التعليم ، فالتعليم جزء مما يتوقعه الناس لحياتهم المهنية والاجتماعية والثقافية ونشاطهم مدى الحياة ، والتعلم عن بعد والتعليم المفتوح يُمكِّن الطلاب أن يتعلموا بطريقتهم الخاصة " [٢]. و قد أوضح "نبيل على" (٢٠٠٣) أن " التعليم في مجتمع المعلومات لن يقتصر على نمطه السائد ، ويقصد به التعليم الحالي من خلال مؤسسات التعليم الرسمي من مدارس وجامعات " . [٣]

" والتعليم المفتوح ، هو نتاج للثورة التكنولوجية المتسارعة ، والتطور المذهل في وسائل الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ، ولديه إمكانيات كبيرة لتوليد أنماط جديدة للتدريس والتعليم وقدرة على الإفادة من التطورات في ميدان تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، بل إن التعليم المفتوح يمكن أن يلعب دور خاص في خلق مجتمع المعرفة العالمى ". [٤] فالجامعات المفتوحة تتميز بتسخيرها للتكنولوجيا الحديثة ، والحاسوب وشبكة الإنترنت ، منتهجة في ذلك مبدأ التعلم الذاتي ، وبرمجة التعليم وتفريده ، إضافة إلى تحسين نوعية العملية التعليمية نتيجة استخدام الوسائل التقنية المتطورة .

إضافة إلى ذلك أن مثل هذا النظام يمكنه أن يعمم الاستفادة من الخبرات العلمية والتكنولوجية والتربوية في البلاد العربية ، وهى قليلة في كل هذه الدول أو بعضها ، ويمكنه كذلك أن يقتصد من الوقت والجهد المبذول في إعداد المواد التعليمية وفي تقديمها بالطرق المناسبة ، ويساهم في سد الحاجات المشتركة بين الدول العربية كحاجتها للفنيين والعمال والموظفين ، في مختلف المجالات والتخصصات . إضافة لقدرة هذا النظام على تزويد المجتمع العربى بحاجته من الثروة البشرية المؤهلة في كافة التخصصات العلمية والفنية وبالعمالة المدربة مع عدم شل طاقتها الإنتاجية في أثناء عمليات التدريب والتعليم .

ولا شك أن هذا النظام يفيدنا في مصر كثيراً خصوصاً مع تفشى البطالة وارتفاع نسبها حسب آخر التقارير والإحصاءات حيث يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية (٢٠٠٢) إلى أن " متوسط نسبة البطالة في البلدان العربية تبلغ ١٥% وهى من أعلى النسب في العالم ، إضافة لأن البطالة أكبر ما تكون بين خريجي الجامعات وذلك نظراً لعدم مناسبة مواصفات الخريجين لسوق العمل نظراً لتردى أحوال التعليم الجامعي ، أو حاجة سوق العمل لتخصصات جديدة غير التي تخرجها الجامعات ، وهذا يجعل الخريجين في حاجة لبرامج تدريب تحويلي وتأهيلي لمهن أخرى ، وهذا ما يستطيع أن يوفره

---

[2] بيير ليفي ، ***" التعليم والتدريب – التكنولوجيا الجديدة والذكاء الجمعى "*** ، ترجمة : أحمد عطية أحمد ، ***مجلة مستقبليات*** ، القاهرة ، يوليو ، ٢٧(١٩٩٧) : ٢٨٥ .

[3] نبيل على ، ***تحديات عصر المعلومات*** ، سلسلة الأعمال العلمية ، (القاهرة : مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣) ، ١٤٠ .

[4] UNESCO, Op. Cit., 10.

التعليم المفتوح نتيجة خصائصه ، إضافة إلى توفيره برامج التنمية المهنية المستديمة دون انقطاع الموظف أو العامل عن عمله ، ويتيح له الحصول على الدرجات العلمية .

٣- التغيرات الحادثة في ميدانى الديمقراطية والتربية:

"إن الثورة الديمقراطية التي نشهدها اليوم ، نتاج للثورة الصناعية الثالثة ، فالأخيرة هى المسئولة عن جعل العالم يبدو " كقرية كونية " تتبادل أخبارها بأسرع ما يكون عن طريق وسائل اتصال وإعلام جماهيرية تتبادل فيما بينها .ولقد عرفت ديمقراطية التعليم تشهد تقدماً ملحوظاً منذ عقود النصف الثانى من القرن العشرين، فاختفي التمايز بين تعليم أولى لأبناء الشعب العامل قصير الأجل ، هزيل المحتوى ، مسدود المسالك ، وتعليم ابتدائى لأبناء الصفوة المميزة في المجتمع يرقى بهم في مراحل التعليم المتعاقبة ، ويخرجهم إلى دنيا الحكم والإدارة والمهن الحرة ذات التقدير الأدبى والمادى . فقد عرفت الأفواج الشعبية طريقها إلى الجامعات التي ظلت قديماً جامعات أكاديمية للصفوة من أصحاب الياقات البيضاء ، وأصبح التعليم في مجتمع ديمقراطى مفتوح مصعداً للحراك الاجتماعي القائم على الكفاءة أو الامتياز الفردى ". [١]

وهكذا يرتبط بالمزيد من التحول الديمقراطى مزيداً من التحول في التعليم العالى ، من تعليم الصفوة إلى التعليم الجماهيرى ، ثم أخيراً التعليم العالى للجميع ، ووفقاً لتصنيف "مارتن تروا" *Martin Traw* فإن كثيراً من البلدان ومنها مصر بدأت تدخل فى المرحلة الجماهيرية ، ويتوقع لها أن تصل قريباً إلى مرحلة التعليم العالى للجميع ، والتي وصلت إليها بعض الدول المتقدمة بالفعل [٢].

فالتغير والتجديد هو سمة من سمات الحياة وصفة من صفات المجتمعات الإنسانية ، والتعليم المفتوح يمثل أحد أشكال ونتائج ذلك التطور الحادث والمستمر في ميدان التربية ، وفي النظرة لمجال ديمقراطية التعليم ، فهو يتميز من حيث قدرته على تحقيق قدر كبير من ديمقراطية التعليم الجامعي بإتاحة المزيد من فرص الالتحاق أمام مختلف فئات المجتمع ، وإعطاء الفرصة لكل متعلم في أن يتعلم حسب قدراته واستعداداته ، فهناك حاجة للبحث عن أساليب جديدة وغير تقليدية من التعليم الجامعي تسمح بإيجاد فرص للراغبين في المزيد منه دون تعريض الجامعات التقليدية للمزيد من الضغوط ، وتحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم الجامعي على نطاق واسع بتوفير فرصة للجميع ، وهذا ما يحققه نظام التعليم الجامعي المفتوح إضافي لما يتميز به من ارتباط بحياة المجتمع ومطالبه المتغيرة فهو يتمتع

---

[١] ضياء الدين زاهر ، " الإنفاق على التعليم المصري وتمويله - دراسة تحليلية "، (ورقة بحثية مقدمة إلى مؤتمر منتدى الإصلاح العربى " مؤتمر إصلاح التعليم في مصر ، الذى عقد بمكتبة الاسكندرية في الفترة من ٨-١٠ ديسمبر ٢٠٠٤) ، ٦.

[٢] سعيد طه محمود والسيد محمد ناس ، ***قضايا فى التعليم العالى والجامعي*** ، سلسلة دراسات تربوية ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ٢٠٠٣) ، ٣٧٧.

بدرجة عالية من المرونة والحركة في اتجاه حركة المجتمع وذلك من خلال مناهجه الدراسية التي تعكس بشكل دائم مطالب المجتمع المتغيرة وحاجات الأفراد المتنوعة .

" فالتعليم المفتوح تعليم جماهيري يقوم على فلسفة تؤكد حق الأفراد بالوصول إلى الفرص التعليمية المتاحة ، أي أنه تعليم مفتوح لجميع الناس لا يتقيد بوقت ولا بفئة من المتعلمين ، ولا يقتصر على مستوى أو نوع من التعليم فهو يتناسب مع طبيعة حاجات المجتمع وأفراده ، وطموحاتهم وتطويرهم مهنياً " [1] .

٤- تزايد الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي :

لا شك أن مشكلة الانفجار السكانى في مصر تلقى بدورها انعكاسات وتحديات ، من أبرزها تزايد الطلب الاجتماعي على التعليم بكل مراحله ومستوياته وأشكاله ، وتزايد الضغوط على الجامعات والمعاهد العليا ، في الوقت الذي تتناقص قدرة الجامعات على قبول كل هذه الأعداد نتيجة لنقص الإمكانيات والموارد وارتفاع التكلفة .. إلخ ..فقد صاحب النمو السكانى نمواً في طلبهم على التعليم ، وحالة انفجار في الآمال والطموحات التعليمية ، ولا يمكن للنظم المدرسية والتربية التقليدية القائمة أن تحقق أهداف الأعداد المتزايدة من البشر والمطالبين بحقهم في التعليم والمتطلعين إلى عصر المعلومات ، لذا كان الإجماع على ضرورة إيجاد صيغ أو أشكال جديدة في مجال التعليم تعتمد على أدوات العصر ووسائله ومنها التعليم المفتوح .

"ومن المتوقع أن يصل عدد الطلبة المسجلين في جميع مستويات التعليم العالي إلى ستة ملايين مع حلول عام ٢٠١٠، ويعني هذا النمو ارتفاع نسبة الملتحقين بالتعليم العالي من فئة العمر الجامعي من السكان العرب من معدل ١٥% في عام ١٩٩٦ إلى معدل ٢٠% في عام ٢٠١٠، ويمثل هذا التطور تحسناً ملموساً في عدد الطلبة لكنه يظل أقل ما بلغه بعض أقطار العالم الثالث ولا يعادل سوى ٦٠% من المعدلات القائمة في البلدان ذات المستوى المرتفع لهذا المؤشر" . [2]

غير أن الزيادات التي سجلت في نسب انخراط الطلاب بالرغم من أنها تبدو عالية فإن نسبة عدد طلاب التعليم العالي إلى عدد السكان تبقى في الغالبية العظمى من البلدان العربية متدنية إذا ما تمت مقارنتها ليس بالدول المتقدمة فقط، بل حتى ببعض دول العالم الثالث. إن عدد الطلاب المسجلين في

---

[1] عبد العزيز عبد الله السنبل ، " مبادئ وإجراءات ضبط الجودة النوعية في أنظمة التعلم عن بعد " ، ***مجلة اتحاد الجامعات العربية*** ، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية ، الأردن ، عمان، يناير ،٣٨ (٢٠٠١) : ٧٠.

[2] علي الهادي الحوات ، ***التربية العربية : رؤية لمجتمع القرن الحادي والعشرين*** ، (ليبيا : اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم ، ٢٠٠٤) ، ٥٨.

التعليم العالي لكل ١٠٠.٠٠٠ نسمة من السكان يبلغ في بعض الدول المتقدمة حوالي ٦٠٠٠ طالب فيما لا تتجاوز أعلى نسبة في الدول العربية ٢٧٠٠ طالب لكل ١٠٠.٠٠٠ نسمة من السكان [١].

"ورغم التوسع في التعليم الجامعي في مصر كما تبين الأرقام حيث كان في مصر عدد (٩٤) كلية ومعهد عام ١٩٧٣ ، بينما بلغ في عام ٢٠٠١ عدد ٢٦٦ كلية ومعهداً ، إضافة لتحويل فروع الجامعات الكبيرة إلى جامعات إقليمية مستقلة ، والموافقة على إنشاء العديد من الجامعات الخاصة الجديدة . وكذلك تضاعفت أعداد المقيدين بالجامعات المصرية فبعد أن كان في عام ١٩٧٤ لا يزيد على ٢٤٠ ألف طالب ، بلغ في عام ٢٠٠٠ عدد ١١٧٥١٥٥ طالب أي بنسبة زيادة تعادل ستة أضعاف " . [٢]

" وقد جاءت هذه الزيادة في الطلب على التعليم الجامعي في مصر نتيجة عدة مبررات منها :

١- زيادة أعداد السكان بشكل مطرد أخذ شكل الانفجار المتفاقم .

٢- عدم التوسع في الفرص التعليمية الجامعية بنفس نسبة زيادة الزيادة السكانية حسب خطة مدروسة .

٣- زيادة إقبال المرأة على التعليم وعلى ممارسة الأعمال المهنية .

٤- زيادة مستوى المعيشة ومستوى الطموح الاجتماعي والعلمي لدى الأفراد .

٥- زيادة استهلاك المعرفة والحاجة إلى مزيد من المعلومات خاصة بعد دخول عصر المعلومات، ولا شك أن زيادة الطلب على التعليم الجامعي ترجع أيضاً إلى مكانة الجامعة الأكاديمية ومكانة طلابها الاجتماعية " . [٣]

"ورغم زيادة أعداد الكليات والجامعات والمعاهد العليا ، والتوسع فيهما ، إلا أن تلك الزيادة لم تستطع أن تواكب زيادة الطلب على التعليم العالي والجامعي فكما يوضح حامد عمار أن نسبة المتوسط عدد الحاصلين على شهادات جامعية في قوة العمل لا يزيد على ٦% من مجموع العاملين في الوطن العربي ، بينما نجد أن عدد الحاصلين على شهادات جامعية في إسرائيل ٢٠% ،وفي دول النمور الآسيوية من١٣% إلى١٥% . بينما يضيف إلى هذه الأرقام رقم آخر ذو دلالة حيث أن نسبة

---

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ***الاستراتيجية العربية لتطوير التعليم العالي : مسودة للاستشارة الفكرية والمناقشة*** ، (تونس : لجنة الإشراف على إعداد الاستراتيجية ، ٢٠٠٢) ، ٢-٤ .

[2] وزارة التعليم العالي ، وحدة المعلومات ، ***النشرة الدورية ٢٠٠١*** ، ٢٨ .

[3] السيد حسن حسانين ، "الجامعات المصرية بين الواقع والمستقبل" ، ***العلوم التربوية*** ، القاهرة : معهد الدراسات التربوية ، ١(١٩٩٣) : ١٠٢ .

obeikandi.com

الملتحقين بالتعليم الجامعي في غالبية البلدان العربية لا يزيد على ١٥% [١]. وفي مصر وحدها نسبة الحاصلين على تعليم ثانوى أو أعلى (سنة ٢٠٠٢) بلغت ٢٩% فقط من السكان " . [٢]

ويشير تقرير مجلس الشورى عن تحديث مصر (٢٠٠٢) في دراسته للوضع الراهن للتعليم الجامعي والعالي إلى أن " نسبة طلاب الجامعات والمعاهد العليا في مصر إلى الشريحة العمرية (١٨-٢٣) عاماً نحو ٢٢% بينما تبلغ هذه النسبة في الدول المتقدمة نحو ٥٠% أو أكثر حيث تبلغ في الولايات المتحدة الأمريكية ٦٩% ، كندا ٧٨% ، وفي اليابان ٧٢% ، وفي إسرائيل ٣٩% ، بينما في الأردن ٢٨% ، ولتحقيق زيادة في تلك النسبة تحتاج الجامعات المصرية لمضاعفة مواردها المالية ، ومراجعة سياسات القبول الحالية ، واستمرار جهود تحديث البرامج الحالية . والحاجة إلى التوسع في التعليم المفتوح والذى يمكن الدارس من اختيار الزمان والمكان للتعلم ، واكتساب المهارات مدى الحياة، دون الحاجة للحصول على درجة جامعية ". [٣]

وهناك عوامل أخرى تضاف إلى الزيادة السكانية ، وتزيد من الحاجة للتعليم المفتوح ومنها :

- **" زيادة تعقد المجتمع** : حيث أصبح صعباً على الفرد أن يدرك الكثير من الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية دون أن يكون على صلة دائمة بالتعليم .
- **ترك البعض للجامعة أو عدم التحاقهم بها** : فهذا النوع من التعليم يمنح الفرصة للأفراد لمواصلة تعليمهم وتعويض ما فاتهم .
- **زيادة وقت الفراغ** : والذى ينشأ نتيجة الحضارة والاعتماد على وسائل التقنية الحديثة في إنجاز الكثير من الأعمال اليدوية ، الأمر الذي يوحى بضرورة استغلال الوقت الحر في أعمال ذات نفع وفائدة للفرد والمجتمع من خلال المشاركة في البرامج التعليمية غير الرسمية .

فهناك حاجة للتوسع في التعليم الجامعي عموماً و الحاجة إلى التوسع فى الصيغ الجديدة فيه، ومنها التوسع فى نشر التعليم الجامعي المفتوح لما يتميز بقدرته على الاستيعاب والانتشار كما ثبت ذلك من خلال تطبيقه في العديد من البلدان". [٤]

٥- تزايد نواحى القصور و المشكلات في التعليم الجامعي المصري :

" يعانى نظام التعليم الجامعي في مصر من جمود واضح ونمطية بارزة ، فضلاً عن افتقاده الجسور التي تتيح للطالب فرصة الانتقال من نوع إلى آخر أو معاودة التعلم مرة أخرى بعد فترة

---

(1) حامد عمار ، " هموم التعليم في الوطن العربى " ، ***مجلة المعرفة*** ، الرياض ، ديسمبر ، ٤١(١٩٩٨) : ٤٠ .

(2) البرناج الإنمائى للأمم المتحدة (**UNDP**) ومعهد التخطيط القومى ، ***تقرير التنمية البشرية في مصر ٢٠٠٤ : اختيار اللامركزية من أجل الحكم الرشيد*** ، ١٧٦ .

(3) مجلس الشورى ، ***تقرير تحديث مصر*** ، http://www.elshoura.cov.eg ،(Accessed July 20,2002)

(4) UNESCO **,** ***Open And Distance Learning : Trends, Policy and Strategy Considerations*** , Op. Cit.,.7.

انقطاع بسبب العمل أو أية ظروف طارئة ، إضافة إلى ذلك يعانى التعليم المصري بكافة مراحله من تردى أحواله كمياً وكيفياً ، فمن ناحية الكم " نجد معدل القيد (الاستيعاب) للطلاب في مختلف مراحل التعليم الأساسى والثانوى والعالى للفئة العمرية (٦-١٨) سنة لم تتجاوز من تلك الفئة ، ٦٥% للذكور ، إلى حوالى ٥٤% للإناث . أما من ناحية الكيف تتردد الشكوى من تدنى مستوى جودة التعليم مقارنة بالمستويات العالمية ؛ ويعزى ذلك لعوامل متعددة منها " ضعف التأهيل والإعداد للمعلمين ، طغيان عمليات التلقين ، وثقافة الحفظ ، وعدم الاهتمام في التدريس بتنمية قدرات التفكير ، وعدم توافر الموارد المالية اللازمة للتعليم الجيد ، وارتفاع كثافة الفصول " . [١]

ويشير " نادر فرجانى" (١٩٩٨) إلى " اتساع الفجوة بين الإنتاج والتعليم ، وانخفاض العائد على الاستثمار التعليمي ، وارتفاع معدلات الهدر في التعليم الجامعي . إضافة إلى إلى إسهام الخلل الحادث بين سوق العمل ومستوى التنمية من جهة وخريجي النظام التعليمي من جهة أخرى إلى ضعف إنتاجية العمالة ، وتفشى البطالة ، وتدهور الأجور الحقيقية للغالبية العظمى مما يعنى ضعف العائد الاقتصادى والاجتماعي للتعليم" . [٢] " كما أن هناك تدنى فى مستوى العملية التعليمية في جامعاتنا ؛ فلم تعد تغرس في الطالب ملكات الخلق والإبداع ولا تكسب القيم الدافعة للأخذ بالمنهج العلمى ، إضافة لازدياد الفجوة بين الجامعة من جانب ، والتطور الاجتماعي والفكر السياسي في المجتمع من جانب آخر ، إضافة عدم مواكبة الجامعة في إعدادها للطلاب لمتطلبات المهنة من حيث المهارات العملية والمعرفة وإتقان بعض اللغات الأجنبية واستخدام الحاسبات ... إلخ ". [٣]

وتتفق معه " فهيمة صفي الدين" (٢٠٠٢) " فهناك انفصال بين الجامعة والمجتمع الذى توجد فيه ، وأن التفاعل الإيجابي للجامعة مع أهداف التنمية الشاملة في مصر لا يزال يعترضه الكثير من الصعوبات التى تحول دون الأداء الأمثل لهذا التفاعل ". [٤]

و يؤكد " محمد نبيل نوفل" (١٩٩٢) أن" هناك ضعف في العلاقة بين التعليم وسوق العمل وسوء سياسات القبول وتوزيع الطلاب على التخصصات المختلفة وضعف الكفاءة الداخلية وارتفاع نسب الهدر،إضافة إلى التركيز على التدريس كهدف ، وإهمال البحث العلمي وخدمة المجتمع والتعليم المستمر كأهداف للتعليم الجامعي " [٥] ؛ " فلا صلاح للتعليم إلا بإحداث تغييرات جذرية في بناء هيكل التعليم ، ويرى كذلك أن التعليم الجامعي والعالى العربى عليه أن يغير نظمه وهياكله بشكل

---

(1) حامد عمار : ***الإصلاح المجتمعى – إضاءات ثقافية واقتضاءات تربوية*** ، مرجع سابق ، ٢١٨.

(2) نادر فرجانى ، " مساهمة التعليم العالي في التنمية***" ، المستقبل العربى***، ٢٣٧(١٩٩٨) : ٨٣ – ١٠٨.

(3) المرجع السابق ، ٨٣ – ١٠٨.

(4) فهيمة صفي الدين عبد الحميد محمد شتا ، " الجامعة ودورها التربوى في خدمة المجتمع – دراسة تحليلية لجامعة الاسكندرية*" ، (رسالة دكتوراه غير منشورة* ، كلية التربية ، جامعة الاسكندرية ، ٢٠٠٢) ، ٤ .

(5) محمد نبيل نوفل ، ***تأملات في مستقبل التعليم العالي*** ، سلسلة دراسات في التربية ، (القاهرة : مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية ، القاهرة ، ١٩٩٢) ، ٧ .

جذرى في المستقبل القريب ، لكى يستطيع مواجهة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى تحيط به ، فلم يعد النمط التقليدي يصلح ، بل لا بد من البحث عن أنماط جديدة أكثر مرونة ، وقدرة على الاستيعاب ، والانتشار ، والإفادة من التكنولوجيا الحديثة " [١] .

إن المستقرئ لأحوال مجتمعاتنا العربية يجد حقائق مفزعة ، إذ أنه في الوقت الذي تتعالى فيه الأصوات بالمطالبة على مستوى العالم بإقامة مجتمع المعرفة العالمى ، والاهتمام بالمعرفة والحصول عليها ونشرها ، نجد أن " نسبة من يعرفون القراءة والكتابة بين البالغين (١٥ عام فما فوق) قد بلغت ٥٥,٦% [٢]، وهذا يعنى أن الأمية تشمل نصف أفراد المجتمع بالتقريب ونحن نعيش في عصر المعلومات ؟!! فالتحدى أكبر كثيراً من مجرد التغلب على النقص فيما يقدم للناس من معرفة بل المهم أيضاً التغلب على النقص في الأعداد المتوافرة من أهل المعرفة . أضف لذلك تدنى قدرة البلدان العربية على الوصول إلى أحدث الابتكارات التقنية الممثلة في تكنولوجيا المعلومات واستخدامها ، حيث يبلغ متوسط نسبة انتشار أجهزة الحاسوب الشخصى ١,٢% في المنطقة العربية ، ويبلغ عدد المتعاملين شبكة الإنترنت في مصر - حسب " تقرير التنمية البشرية" (٢٠٠٤)- بلغت النسبة ٢,٨% فقط وهذا يدل على محدودية استخدام التكنولوجيا الحديثة والتعامل معها ؛ حيث تبلغ نسبة عدد مستخدمى الانترنت في الولايات المتحدة ٥٥,١% ، وإنجلترا ٤٢,٣%، و إسرائيل ٣٠% من السكان ، بينما في الكويت بلغت ١٠% ، والسعودية ٦,٤% ، والأردن ٥,٧% . وكل ما سبق مؤشر لتدنى أحوال التنمية الانسانية في مجتمعاتنا العربية عامة ومصر خصوصاً ، ، بل إن مصر تحتل الترتيب رقم (١٢٠) من بين ١٧٢ دولة طبقاً لمؤشرات التنمية البشرية على مستوى العالم ." [٣] . "وكل هذا يدفعنا باتجاه التفكير في التوسع في كل التعليم فى كل أشكاله وصيغه ، ومنها صيغ التعليم المفتوح وذلك من أجل زيادة أعداد المتعلمين ونشر المعرفة بين أكبر قدر أفراد المجتمع ". [٤]

٦- ارتفاع تكلفة التعليم الجامعي :

" تعد تكلفة الطالب بمرحلة التعليم العالي أكثر مراحل التعليم تكلفة ، نظراً لطبيعة هذه المرحلة ، وتنوع هيئة التدريس بها ، وزيادة تكاليف لوازمها التعليمية ، ورغم الجهود الحقيقية التي بذلت من أجل زيادة موازنات الجامعات المصرية ، وكذلك موازنات وزارة التعليم العالي خلال العقد الأخير ، والتي تزايدت خلالها اعتمادات وزارة التعليم العالي ، تعتبر أدنى تكلفة ، حيث تبلغ تكلفة

---

[1] محمد نبيل نوفل ، ***تأملات في مستقبل التعليم العالي*** ، المرجع السابق ، ٨ .

[2] برنامج الأمم المتحدة الانمائى (UNDP) ، ***تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٤ : نحو الحرية في الوطن العربى*** ، ٢٢٩ .

[3] برنامج الأمم المتحدة الانمائى (UNDP) ، ***تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٤ : الحرية الثقافية في عالمنا المتنوع*** ، ١٨٢

[4] UNESCO, Op. Cit. , 10.

الطالب المصري بهذه المرحلة ثلث تكلفة الطالب العربي تقريباً ، وربع تكلفة الطالب الفرنسي والأردني ، وتبلغ تكلفة الطالب الأمريكي ٢٣ ضعف تكلفة الطالب المصري ، وفى اليابان ٢٥ ضعف" . [١]

بينما تشير العديد من الدراسات إلى أن "برامج التعليم المفتوح هى أقل تكلفة مالية للفرد أقل من تكلفة التعليم فى المؤسسة الجامعية التقليدية ، فرغم إن تكلفته الرأسمالية التى تتطلبها تجهيزاته الإلكترونية تستدعى إنفاقاً ضخماً إلا أنها تمثل رصيداً أولياً يؤدى مع الزمن إلى خفض نفقاته الجارية فيما بعد وبذلك تقل تكلفته على الفرد بالنسبة لنفقات الطالب الجامعي المنتظم ، بالإضافة للاستغناء عن المباني و تجهيزاتها المكانية ، إضافة لصلاحية المواد التعليمية للاستخدام عاماً بعد عام" [٢] .

وتشير دراسة أجريت لنظام الجامعة البريطانية المفتوحة عام ١٩٧٧ أن " تكلفة الطالب بها فى مستوى الدرجة الجامعية الأولى أقل من الجامعات الأخرى بحوالى ما بين ٣٩% ، ٤٧% حسب نوع التخصصات ، وفى دراسة تالية أجريت فى الجامعة نفسها عام ١٩٩٦ أكدت انخفاض تكلفة الطالب بحوالى الثلث عن تكلفتها فى الجامعات الأخرى" . [٣]

ومع استمرار الزيادة في الأسعار والتكاليف لذا أصبح من الحتمى البحث عن بدائل أخرى غير التعليم الجامعي والتقليدي تكون أكثر قدرة على الانتشار والاستيعاب وأقل تكلفة ، وأكثر مرونة وقدرة على تلبية حاجات المتعلمين والمجتمع ، ومن هنا كان تبنى مصر لصيغة التعليم الجامعي المفتوح . إلا أننا يجب ألا ننخدع وراء بعض الدراسات التى أجريت فى الدول المتقدمة ، وننسى أنه على الجانب الآخر أن هناك دراسات أخرى أشارت إلى أن برامج التعليم المفتوح فى بعض الأحيان فاقت فى كلفتها الحسابات والتوقعات ، لأن هناك عوامل متنوعة تتحكم فى التكلفة .

وعموماً تشير "اليونسكو" (٢٠٠٢) إلى أن "التعليم المفتوح يمكن أن ينتج لنا خريجاً بتكلفة أقل عن الجامعات التقليدية ، إلا أن هذا بدوره يعتمد على عدة عوامل : مثل استخدام موارد التعلم ، والوسائط والتكنولوجيا و خدمات دعم الطلاب ، ولتقييم التكلفة فإنه من الضرورى إجراء العديد من الدراسات حول:

١- التكلفة والعوامل المؤثرة فى فعالية الإنفاق والتكاليف لأنظمة التعليم المفتوح .

٢- حجم المقررات .

٣- عدد السنوات التى تقدم فيها المقررات دون إجراء تغييرات فيها .

٤- تكاليف تطوير المقررات .

٥- التكنولوجيا التى سوف يتم اختيارها .

---

[1] سعيد طه محمود و السيد محمد الناس ، ***قضايا فى التعليم العالى والجامعي*** ، مرجع سابق ، ١٣٣.

[2] حامد عمار ، **الإصلاح المجتمعى : إضاءات ثقافية واقتضاءات تربوية** ، مرجع سابق ، ٢٣٠ .

[3] المرجع السابق ، ٢٣١ .

٦- سوق العمل والممارسات المؤسساتية .

٧- مستوى دعم الطلاب .

٨- الجهات المختلفة المشاركة فى تكلفة تطوير المقررات [١].

الخلاصة أن التعليم الجامعي المفتوح يتسم بخصائص وطبيعة تجعله قادراً على تلبية حاجات اجتماعية، ووظيفية، ومهنية للملتحقين به عبر الأنظمة المنظمة التى يتبعها ، والبرامج الدراسية التى يقدمها ، و المرونة فى القبول و التسجيل و القدرة على تخطى الحدود و الحواجز الجغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، و الوصول إلى فئات المجتمع كافة باستخدام تقنيات تعليمية متنوعة توفر قاعدة أساسية للتعليم المستمر مدى الحياة [٢] . فنظام التعليم المفتوح يضع قواعد أخرى بديلة عن النظم التقليدية تتسم بالمرونة وتفتح آفاق التعليم الجامعي أمام المجتمع بأكمله .

---

[1] UNESCO, Op. Cit., 11-12.

[2] إسماعيل صالح الفرا ،" التعلم عن بعد والتعلم المفتوح : الجذور و المفاهيم و المبررات " ، مرجع سابق ، ٤٥.

obeikandl.com